سيرة رجل تافه

على خطى فيلهلم رايش

عبد المجيد طعام

إهداء بطعم الحزن والغضب

إلى ضحايا زلزال الحوز بالمغرب

لأرواحهم الطمأنينة والسلام

"عصر جديد قد بزغ" هكذا يتكلم الجميع ، كلهم يقولون إنه عصر الرجل العادي وهم يقصدون عصر الرجل التافه ، أنت ، نعم أنت ، إنهم يسمونك بأسماء كثيرة سماك فيلهلم رايش "الرجل الصغير" و" الرجل المتوسط" و"الرجل العادي" وسماك كل المحيطين بك ،"الرجل التافه" لماذا اختاروا أن يسموك كذلك ؟ اقرأ ما سيلي وتعرف .

أنت أيها الرجل التافه ، لا تدرك أنك تافه ، لقد وضعوا لك هذا الاسم ، دون أن يستشيروك ودون أن يطلبوا رأيك، من هم ؟ ألا تعرفهم؟ إنهم كل السياسيين الذين جعلوك تتصور انك اخترتهم لتمثيلك في الحكومة ،وهم الخبراء الإستراتيجيون والمنتخبون والبرلمانيون ورؤساء الأحزاب ، والمغنون ولاعبو كرة القدم ورؤساء الجامعات الكروية ،والراقصات والراقصون والمثقفون المتملقون ،وقادة العمال الذين رفعوا أصواتهم في مسيرةً مهنيةً ثم انسحبوا إلى المقاهي يتفرجون من النوافذ الزجاجية على ما يحدث في الشارع العام ، ووالبرجوازيون المتحالفون مع الإقطاعيين خدام المستعمر، وأعضاء الحكومة الذين جعلوا منك أتفه من التفاهة ذاتها ، وإن كنت تظن نفسك مثقفا مدركا لخبايا اللعبة السياسية، كنت تهرول مع القطيع نحو صناديق الاقتراع وأنت تردد شعار: " كلنا ضد سياسة الكرسي الفارغ " .

كل هؤلاء يبشرونك بمستقبلك الآمن ولكنهم لم يهتموا بحاضرك ولن يهتموا بماضيك، لأنك وريث ماضٍ مريع، ميراثك لا شيء . ميراثك كومة من الفراغ المقدس والتاريخ المزيف ، أنا من يقول لك ذلك!

لا أحد يريد أن يخبرك من أنت بالضبط؛ لا أحد يريد أن يصوغ الأفكار التي قد تجعلك قادرًا على تجاوز تفاهتك وتمسك مصيرك بيديك. يقولون لك أنت "حر" افعل ما تريد ، انشر كل التفاهة التي تريد ، وجدت في مواقع التواصل الاجتماعي متنفسا لتفريغ قذارتك ، فانخرطت بدون قيد أو شرط في برنامج عولمة التفاهة ، قالوا لك أنت حر، ولكن دون أن يمكنوك من شروط التحكم في حياتك الخاصة، ما لم تفهمه أيها التافه القذر ، أنت حر من أي تقييم ذاتي فقط ، يريدونك أن تفعل ما تريد دون أن تتجاوز تفاهتك أيها الرجل الغبي .

لم يصدر منك أبدا أي احتجاج ، لم تطرح أبدا أي تساؤل عن مآل حياتك ، لم تصرخ أبدا، تعيش حالة استسلام غير مسبوقة ، تلوذ باستسلامك لأنك تشعر فيه بالأمن والاستقرار، لم تحتج أبدا ، لم تقل للذين يتحكمون في حياتك وعقلك : "أنتم قلتم لي أنكم ستجعلونني سيد نفسي وسيد العالم، لكنكم لم تخبروني أبدا كيف يمكن أن أتحكم في ذاتي، أنا لا أعرف الأخطاء التي أرتكبها في كل ما أفعل وفي ما أفكر وأتصرف ! عليكم أن تنبهوني !!! "

فعلا أثرت شفقتي ، أنت تنتظر من الذين حقنوك بفيروس التفاهة أن يخبروك كيف تستعيد ذاتك وعقلك ؟ أنت أيها الرجل التافه تحتمي بمن تراهم أقوياء ، تحتمي بمن يحرمون أبناءك من تكافؤ الفرص ، بمن يستغلونك ويكذبون عليك ويستبدونك ويعنفونك، لأنك تحتاج إلى أن تشعر بقوتهم وهم يمارسون استبدادهم وعنفهم وكذبهم عليك ، إنك تمنح للأقوياء كل السلط التي فرطت فيها ، حتى سلطة التحدث باسمك تمنحها لهم دون

أن تعرف ماذا سيقولون باسمك . أنت لا تدرك أبدا أنك وقعت في شباك الخداع والتآمر لاستغلالك من طرف الأقوياء الذين يتحكمون في مصيرك كل يوم يمارسون عليك الخداع ، وكل يوم تنطلي عليك خدعهم الجديدة وأنت تقبل ما يفعلون بك دون أن يستيقظ فيك الإدراك والوعي لأنك رجل صغير تافه .

أنا أفهمك جيدا. لأنني أراك عاريًا مجردا من ألبستك المزركشة وأقنعتك الملونة ، رأيتك عاري الجسد والروح رأيتك بدون قناع، بدون بطاقة عضو في حزب سياسي أو نادي أو جمعية من الجمعيات التي تدعي الإحسان ومساعدة مرضى السكيزوفرينيا، ما أكثرالسكيزوفرينيين بيننا !! ، رأيتك عاريا بدون شهرتك التي صنعتها لك وسائل التواصل الاجتماعي، كما رأيتك عاريا وأنت تحاول أن تخفي عريك وراء قناع من ثقافة عارية ومشبوهة. رأيتك عاريًا، كالضابط في قميص داخلي. لقد بكيت أمامي، تحدثت إلي عن طموحاتك، عن حبك وحزنك. لهذا قررت الآن أيها الرجل التافه أن أخبرك عما تسميه طموحاتك ، أريد أن أخبرك كيف أنت.

"أنت رجل تافه وصغير!" أولا عليك أن تفكر جيدًا في الدلالة المزدوجة لهاتين الكلمتين، "تافه" و"صغير" ـ ليس معنى هذا أن التفاهة درجات ، توجد تفاهة واحدة وأنت تمثلها ، قد تشعر أن تفاهتك جعلت منك رجلا عظيما ، قد تتوهم أن التفاهة سهلت عليك طريق تسلق السلم الاجتماعي وقد تتوهم أن التفاهة التي تنشرها في كل الاتجاهات جعلت منك كاتبا لا يشق له غبار ،قد تتوهم أن حصولك على شواهد عليا بطرق ملتوية لا تختلف عن الطرق التي يستعملها مهربو المخدرات قد جعلت منك

أستاذا باحثا كبيرا ، قد تتوهم وتتوهم كثيرا ، لكنك ستبقى دائما ذلك الرجل التافه الصغير . لن يعترف بك الرجال العظماء ولن يسمحوا لك بالانضمام إلى ناديهم ، قد تجد كرسيا مهترئا في مقهى من المقاهي الأدبية التي اختصت في الإعلاء من شأن التفاهة ، وفي توزيع شواهد ورقية لا تصلح لمسح الغبار العالق بنوافذ السيارات. لا تهرب مني ! كن شجاعًا وانظر إلى نفسك.

"بأي حق تهينني هذه الإهانة المذلة وبأي حق تعطيني درسًا قاسيا؟" إنني أرى هذا السؤال يستعد لأن يقفز إلى الخارج من عينيك الخائفتين.... أراه على شفتيك المرتجفتين أيها الرجل التافه الصغير! أنت تخاف من أن تنظر إلى نفسك، لا تقبل النقد لأنك تخاف أن تنهار ، تمامًا كما تخاف من القوة التي تريدها لك، ليس لديك أي رغبة في أن تتعلم كيف تستخدم هذه القوة التي لا توجد فيك أصلا ، أنت لا تدرك وجودها الحقيقي فيك ،لم تتجاوز مرحلة الوهم والشك ،لأن كل ممارساتك وكل أفكارك واختياراتك تافهة .يحيط بك تافهون ضعفاء ، يتابعون تفاهتك التي تلقي بها في المجتمع عن طريق وسائل التواصل الاجتماعي والإعلام الأصفر ، أصابك الغرور فظننت أنك أصبحت قويا .

لا تتجرأ يوما أن تتخيل أنك قد تشعر بذاتك بطريقة مختلفة؛ لا تتجرأ أن تتخيل أنك يمكن أن تكون حرًا ،وأنك لم تعد مجرد عبد يعشق قيوده ،لا تتجرأ أبدا أن تتخيل أنك يمكن أن تكون صادقًا وليس استراتيجيًا. أنت تحتقر نفسك، أيها الرجل التافه. تردد باستمرار داخل نفسك: "من أنا لأملك رأيًا شخصيًا، لأقرر

حياتي، لأعلن أن العالم ملكي؟" أنت على حق: من أنت لتكون سيد حياتك؟ سأقول لك من أنت: ربما كان الرجل العظيم يشبهك في بعض صفاتك كالخوف والشك والتردد ، لكنه لم يشبهك أبدا في حقارتك ونذالتك ، لأنه نمَّى شيئا مهما في ذاته: تعلم كيف يرى ضعف تفكيره وعبثية أفعاله ، وكيف فشل في تحقيق طموحاته واختياراته ، تعلم كيف يدرك التهديد الذي تشكله التفاهة عليه ، انتصر على الخوف والتردد والشك في قدراته ، وهكذا تحول إلى رجل مثقف عظيم يناضل من اجل تحقيق انتظاراته ومقاومة عنف القطيع وسلطة التفاهة .
أما الرجل التافه مثلك، فهو لا يدرك تفاهته، يخفي ضعفه وضيق أفقه وراء القوة والعظمة الوهمية ، أو وراء قوة الرجال الذين يستغلونه ويحرمونه من حقوقه وحريته وحقه في المعرفة والتعلم .

الرجل التافه مثلك يفتخر بقادة من تاريخ وهمي، لا يعرف عنه إلا ما سمعه من شفاه صفراء تجيد ترديد أغنيتها التافهة ، " أغنية العنعنة " ، ولا يعرف عنه إلا ما شاهده في مسلسلات تلفزيونية تافهة وأفلام هوليودية تعرف كيف تدغدغ مشاعره التي وضعها المجتمع في المجمد ، تنحني أيه الرجل التافه الصغير إجلالا أمام صورة الممثل الأمريكي أنطوني كوين وأنت تعتقد أنك تنحني أمام صورة حمزة عم الرسول أو عمر المختار ثائر ليبيا ضد الاستعمار الإيطالي ، أنت تصادف على غوغل نفس الصورة لنفس الممثل ، مرة تقول إنها صورة حمزة ومرة تقول إنها صورة عمر المختار ، ولا تعرف أن أونطوني كوين هو أيضا زوربا في فيلم آخر ، وزوربا له تصور عن

الدين يختلف تماما عن تصور الشخصيتين العربيتين ، فعلا تفاهتك عطلت عقلك ولم تعد لك القدرة على أن تربط بين حواسك الخارجية والعقل ، بتفاهتك هذه أنت تمثل أحسن نموذج يمكن أن نقدمه لنفهم الكوجيطو الديكارتي.

أنت تفتخر بأوهامك الكثيرة ، لكنك لا تفتخر أبدا بنفسك ، لأنك لا شيء وتنتج اللاشيء.. أنت تصدق وتقدس كل الصور التي أصبحت تتقاطر على هاتفك النقال، تصدق كل الصور المفبركة بغباء كبير ، تصدق الأشياء التي لا تفهمها ، ولا تصدق الأفكار التي يمكن أن تستوعب معناها بسهولة...

أنت لا تبذل أي جهد لتخرج من مستنقع التفاهة ، كم هو خطير مستنقع التفاهة!! يغرق فيه يوميا ملايين المتعلمين الذين اصبحوا يجدون راحتهم في أن يتحولوا إلى تافهين عوض أن يحملوا هم العلم والمعرفة والفكر النقدي ، يريدون أن يتحولوا إلى حمير يحملون أسفارا عوض أن يحملوا صخرة سيزيف ، صخرة المعرفة التي تنقذهم كما تنقذ كل المجتمع . ولكن دعني أقول لك : إن منقذك الوحيد من التفاهة: أنت نفسك!

هنا أتوقف لحظة لأنظر في ذاتي لعلك تقف على بعض الاختلافات بيني وبينك ، لن أنظر عبر المرآة لأنها مخادعة ، سأنظر إلي بشكل مباشر إن استطعت ، سأحاول ... أنا أدعي أنني أحارب من أجل النقاء والحقيقة. أنا أحارب التفاهة وأناصر الحرية والعقلانية ولن أتوقف عن المطالبة بالديمقراطية والعدالة الاجتماعية والعلمانية والحداثة والمساواة بين الرجال والنساء ، أخوض معارك ضد الإقصاء والتهميش والفقر

والمشعوذين وتجار الدين ، أه من تجار الدين!! كم أود أن يكتشف كل الناس زيفهم ومغالطاتهم، لم أتوقف منذ أن أدركت خطرهم على المجتمع ومدى إفسادهم لحياتنا عن محاربتهم بالعلم والعقل ، وها أنا أتردد في هذه اللحظة الدقيقة حيث أستعد لأخبرك بالحقيقة عن نفسك، لأنني خائف منك ومن موقفك تجاه الحقيقة. قول الحقيقة في مجتمع التافهين أمر جد صعب ، رغم أنها تجلب الخلاص وتقوي المناعة لمواجهة تجار الدين وأعداء المعرفة ، في مجتمعاتنا العربية غالبًا ما تكون الحقيقة فريسة تعبث بها عصابات مافيا الدين والسياسة والثقافة المنتجة للمال .

كم تعجبني جرأة سبينوزا ونيتشه وجبران خليل جبران وجلال العظم ونوال السعداوي وابن رشد وابن الراوندي ،وابن باجة ،وطه حسين وسلامة موسى ، ومحمد شكري، كل هؤلاء العظماء وغيرهم كثير، أحبوا الحقيقة واستمروا طيلة حياتهم الفكرية يمارسونها بقناعة قل مثيلها ،لو لم يوجدوا ، لما عرفت تلك الأفكار المتنورة ولا عرفت معنى الاستماتة والنضال والتضحية والمواجهة من أجل الحقيقة ، لو لم يوجدوا لما كنت موجودًا ولما كنت رجلًا مختلفًا! ولما تجدني الآن منهمكا في البحث عن الحقيقة التي ضحى سقراط بنفسه من أجلها، كم يعجبني حب سقراط للحقيقة ، سأحكي لك أيها الرجل التافه الكاره للحقيقة شيئا عن شغف سقراط بالحقيقة ، في واقع الأمر صعب أن نحيط بقصة سقراط مع الحقيقة ،لأنه لم يكتب نصًا واحدًا يحكي فيه شغفه بالحقيقة ، كانت كل وقفاته ورؤاه الفلسفية شفهية ، لم يكن يكتب ما كان يعلمه الناس ، تلميذه

أفلاطون هو من كتب دروسه وخلدها لتصل إلينا ، بعد أن حضر محاكمته وإعدامه ، الآن دعني أيها الرجل التافه أضع حدث محاكمة سقراط وإعدامه في سياقه ، سأعود بك إلى أواخر القرن الرابع و بداية الخامس قبل الميلاد ، كان سقراط يعيش حياته البسيطة المعتادة ، كانت,تنساب مع انسياب رؤاه وأفكاره وأسئلته التي كان يطرحها على محاوريه ليحفز فيهم هاجس البحث عن حقيقة ذواتهم ، كان يردد "اعرف نفسك بنفسك" هكذا كان يفكر سقراط وهكذا كان يحدد دور الفيلسوف والفلسفة التي أنزلها من السماء إلى الأرض ،كان يحفز العامة على استعمال العقل والمساهمة الذاتية في تنمية قدراتهم وإدراكهم كان يقول : في الوقع إننا لا نساعد شخصًا ما على تنمية روحه عندما نقوم نحن بكل شيء يخصه ، لآ يمكن أن تتحقق تنمية الروح إذا منحنا الشخص أجوبة جاهزة عن أشياء تخصه ، سنقدم للشخص خدمة جليلة عندما نطرح عليه الأسئلة الصحيحة ، التي ستدفعه إلى إعادة النظر في معتقداته. لم يكن سقراط معلمًا ، ولم يكن مديرًا للضمير ، بل كان رجلاً يدعو إلى أن يتولى كل فرد مسؤولية تطوره الروحي والفلسفي ، من أجل الوصول إلى الحقيقة.

ذات يوم جميل، لم يكن كسائر أيام سقراط ،وبينما هو يسير في شوارع أثينا ،وكما جرت العادة كان يحاول أن يقترب من مواطنيه ليبدأ محاوراته الفريدة ،علم أن شاعرا يدعى ميليثو أوميليتوس قدم ضده شكاية أودعها محكمة أثينا . كان ميليتوس شاعرًا يونانيًا من شعراء التراجيديا ينتمي إلى القرن الخامس قبل الميلاد، وهو أحد المتهمين الرئيسيين، والواضع الرسمي

للشكاية لدى المحكمة ، وقد شاركه الشكاية صديقاه وهما الخطيب ليكون Lycon و الدباغ أنيطوس Anytos الذي أصبح فيما بعد رجل سياسة,

اتفق الأصدقاء الثلاثة على اتهام سقراط بجرمين خطيرين ،الأول ارتكاب المعصية ضد آلهة أثينا، والثاني إفساد شباب المدينة . صاغ المتهمون صك الاتهام بتسجيل ثلاثة أعمال شريرة هي على التوالي : "عدم الاعتراف بآلهة أثينا" و "إدخال آلهة جديدة إلى أثينا ". وإفساد الشباب . هي تهم ثقيلة أججت غضب كل سكان أثينا. سنحاول أن ننظر في كل تهمة على حدة لنعرف حقيقة هذه المحاكمة وطبيعتها وأسبابها وخلفياتها. نستهل حديثنا عن هذه التهم بالنظر في تهمة إفساد الشباب لأنها تهمة ذات طابع مغرض وموجه ، فماذا يقصدون بهذه التهمة ؟ ما هي دوافعها وخلفياتها ؟

صيغت التهمة الأولى بشكل مثير ، جاء في صك الاتهام :"سقراط أفسد الشباب " وجد سقراط نفسه في وضع لا يحسد عليه ،وجد نفسه يواجه اتهاما خطيرا يتلخص في غواية الشباب و صرفهم عن الدين الرسمي لأثينا وثنيهم عن أداء واجبهم العسكري في الدفاع عن أثينا وحمايتها من اسبرطة العدو التاريخي ، يمكن أن نوجز كل هذا في التعبير التالي صرف الشباب عن الطاعة والامتثال .

تبدو هذه التهمة جد خطيرة لأنها تحمل سقراط مسؤولية صرف الشباب عن الطاعة والامتثال لما تجمع عليه الأمة ،تهمة تقود مباشرة إلى المشنقة ، تصنف في خانة الخيانة العظمى ،

بالإضافة إلى تهمتي الكفر بآلهة أثينا وإدخال معتقدات جديدة إلى المدينة ، من هنا يظهر أن المحرك الأساسي للمحاكمة هو الحفاظ على الدين السائد وحمايته من الفيلسوف ، مع العلم أن سقراط عارض بشدة هذا الاتهام في معتقده وإيمانه ، ورفع صوته أثناء المحاكمة معلنا :" أنا أومن بالآلهة ، لكنني أعلن أمام الجميع أنني مرتبط بإله شخصي يختلف عن إلهكم !!!" كان سقراط فيلسوفا شجاعا وعظيما أيها الرجل التافه ، لم يكن يخفي إلهه الشخصي أو شيطانه كما يسميه أحيانا، كان يتحدث عنه علنا ،لم يكن أبدا سرا من أسراره. كان سقراط يفسر وجود هذا الكائن الغريب في ذاته كصوت داخلي لا يملي عليه ما يجب فعله وإنما يبعده عما لا يجب فعله .

الغريب في أمر سقراط أنه يصرح بعدم تدخل شيطانه في أي طور من أطوار المحاكمة ، لم يتدخل أبدا، تركه حرا يتصرف كما يشاء ، ظل صامتا ، ربما لأنه أدرك أن المحاكمةلن تكون في صالح سقراط لأنها حسمت في دهاليز المحكمة .

مثل سقراط أمام المحكمة في أثينا عن عمر يناهز 70 عامًا دخل القاعة الفسيحة التي كانت تضم هيئة القضاة وجمهورا عريضا من مواطني أثينا .يمكن أن نقول إن محاكمة سقراط اعتبرت محاكمة التاريخ البشري ، سيكون لها انعكاسات كثيرة على الحياة والفلسفة. عندما أخذ الحاضرون أمكنتهم وجلس القضاة على كراسيهم تم الإعلان عن افتتاح الجلسة وبعد أن تمت تلاوة صك الاتهام تقدم سقراط ليلقي خطاب دفاعه عن نفسه :" أيّ انطباع تركه فيكم الذين اتهموني، يا أهل أثينا، لا

أدري. فيما يخصني، كدت أنسى، وأنا أسمعهم من أنا، لفرط ما كان كلامهم مغريا. ومع ذلك، وهذا ما أستطيع تأكيده، لم يقولوا ولو كلمة واحدة صادقة. ولكن ما أدهشني الأكثر فيما جاء في هذا المقدار الكبير من الأكاذيب، هو قولهم أنّ عليكم أن تحذروا مني حتى لا أغالطكم لأنني بارع في الكلام، وأنهم لم يستحوا من التكذيب الذي سأقدّمه لهم الآن. فقد بدا لي هذا الموقف من جهتهم غاية في الحمق، إلا إذا كانوا يعتبرون بارعا في الكلام من يقول الحقيقة. إن كان هذا ما يقصدون، فأنا أعترف بأنني خطيب، ولكن ليس على شاكلتهم. ومهما يكن من أمر، فأنا أكرّر لكم أنّهم لم يقولوا أيّ شيء، أو تقريبا أيّ شيء صحيح أمّا أنا في مقابل ذلك، سأقول لكم كلّ الحقيقة."

لم تقتنع هيئة المحلفين بما قاله سقراط دفاعا عن نفسه، وأقرت باقترافه جريمة إفساد الشباب والكفر ، وجريا على عادة اليونان القديمة طلبت منه المحكمة أن يقترح العقوبة التي يستحقها . في البداية اقترح مازحا أن تنظم الدولة وجبة غداء فخمة تكريما له. رفضت هيئة المحلفين اقتراحه وحكمت عليه بالإعدام .

قبل سقراط الحكم بثبات وأريحية، وقال لهم :"لا أحد يعرف ما يحدث بعد الموت ، لهذا من الحماقة أن يخاف المرء مما لا يعرفه"

لاحظت أيها الرجل التافه كيف أن سقراط ضحى بحياته من أجل الحقيقة ، وأنت تعرف أنك أخوف البشر من الحقيقة ، لقد اقتربنا من اللحظات الأخيرة من حياة سقراط قبل إعدامه، لتعرف ما حدث بالضبط أنقل إليك نصا آخر سجله أفلاطون

عنوانه LE CRITON النص عبارة عن حوار بين سقراط وكريتو صديقه . دار بينهما حوار حينما كان ينتظر تنفيذ حكم الإعدام حول العدالة والظلم ورفض سقراط فكرة الهروب من السجن.. قال لصديقه ولكل الحاضرين في تلك اللحظة الحاسمة :" لا أريد أن أعاني ما تعانون من جهل". لقد كانت محاكمته فرصة ليقدم المبادئ التي تقوم عليها فلسفته لعل المتحاملين عليه يدركون أنه لم يرتكب أي جرم ، جرمه الوحيد أنه أحب الفلسفة ومارسها . قبل الحكم عليه بالإعدام تم تخييره بين النفي أو شرب الشوكران وهو نبات مسموم ،إلا أنه اختار الموت مستغلاً الفرصة ليقدم لتلاميذه درسه الأخير قال لهم :"يجب ألا يخاف الفيلسوف من الموت بل عليه أن يقبل به كتمجيد للروح. ليصبح بذلك مثالاً على التضحية بالنفس في سبيل المبدأ والحقيقة ... أقول لكم إن الثروة لا تجعلكم طيبين من الداخل، ولكن من الطيبة الداخلية يأتي الثراء والفائدة للرجل. هذه هي دروسي، وفي حال كانت مفسدة للشباب، فعندئذ أفترض أني مُفسدهم."

كان تلامذة سقراط يزورونه كل يوم في سجنه. قبل يوم من تنفيذ حكم الإعدام، ويوم موته كتب أفلاطون : " ذهبنا ذلك اليوم مبكرين. دخلنا وإذا زوجته كزانتيبي وابنهما الصغير، هناك. كانت تبكي وتردد ذلك النوع من الكلام الذي ترددده عادة النساء: آه يا سقراط، هذه آخر مرة تتحدث فيها إلى أصدقائك ويتحدثون إليك! تطلع سقراط إلى كريتو وقال: كريتو، فليُعِدها أحدكم إلى المنزل.

جلس سقراط على المقعد وطوى ساقه وأخذ يفركها. وراح يكلمهم عن الفرق بين الألم واللذة. وبعد أن انتهى من الكلام قال له كريتو: هل لديك أية توجيهات بخصوص أولادك؟ هل هناك شيء نستطيع أن نخدمك به؟ انتبهوا إلى أنفسكم، قال سقراط. ثم سأله كريتو: كيف تفضل أن ندفنك؟ آه، كما تَشَاؤُونَ، وبنبرة الهزل قال له : لم أتمكن من الإفلات منك يا كريتو!!. ثم ضحك بهدوء، وقال: أيها الأصدقاء، إن كريتو يخاطب الجثة التي سوف أصيرها ويسألها كيف سيدفنها. كن شجاعًا يا كريتو. ادفنها بالطريقة المناسبة.

قال ذلك ثم ذهب إلى غرفة ليستحم، فتبعه كريتو وطلب منا أن ننتظر في الخارج. وأخذنا نتحادث كم سيكون الفقد كبيرًا وأننا سوف نصبح أيتامًا. وبعدما استحم، أُحضر إليه أبناءه الثلاثة، ثم حضرت نساء العائلة، غير أنه صرف النساء وانضم إلينا. كان الغروب قد حل. ولم يكن بعد ذلك كلام كثير. ثم جاء الحارس الذي كُلف بأن يعطيه السم الذي عليه أن يتجرَّعه، وقال له: يا سيدي، أنت تعرف ما الذي عليك أن تفعله، أما أنا فلم أعرف في هذا المكان رجلاً أنبل منك. ثم انفجر بالبكاء ومضى. ودعه سقراط قائلاً: أتمنى لك حظًّا سعيدًا. وسوف أفعل ما تقول. كم هو لطيف هذا الإنسان. منذ أن وُضعت في السجن وهو يقوم بزيارتي كل يوم ويحادثني. والآن، ها هو يبكي من أجلي. هلم يا كريتو، أعطني السم إذا كان جاهزًا أو اطلب من الرجل أن يعدّه. لكن كريتو قال: إن الشمس لم تغرب تمامًا بعد، تمتع بمزيد من الوقت. فقال سقراط: سوف أحتقر نفسي يا كريتو إن أنا تعلَّقت ببضع لحظات إضافية. هات،

أعطني السم، ثم رفع الكأس بهدوء وتجرَّع منه . دون موت سقراط لا وجود للفلسفة. أظن أنك فهمت الرسالة من حكاية سقراط والحقيقة .

أنا أيضا أريد أن أتصرف كسقراط ،عقلي يقول لي: قل الحقيقة مهما كلّفك الأمر. ولكن شيئا بداخلي يقول لي: من الغباء أن تثير غضب الرجل التافه عليك ، أن تجعل نفسك تحت مساومته. الرجل التافه لا يهتم بمعرفة الحقيقة عن نفسه. إنه لا يرغب في تحمل المسؤولية الكبيرة التي تقع على عاتقه ، الرجل التافه لا يريد أن يدرك أنه إنسان ، لا يريد أن يعي ذاته ووجوده ، لأن ذلك سيتعبه ، يريد أن ينعم براحة ولامبالاة القطيع . إنه يريد أن يبقى رجلًا تافها ، في أحسن الأحوال يريد أن يصبح رجلاً تافها عظيمًا.... يريد أن تكون له رتبة اجتماعية تتوق إليها رقاب كل التافهين ، يريد أن يتسلق السلم الاجتماعي ، يريد أن يصبح كاتبا مشهورا دون أن يقرأ كتابا واحدا ، يريد أن يصبح روائيا مشهورا دون أن يقرأ رواية واحدة ، يحكي عن الفراغ الذي يجتره في حياته ، يريد أن يكون شاعرا كبيرا دون أن يعرف الاستعارة والمجاز وبحور الشعر ، يقطع جملا مبعثرة ، يجعلها غير متساوية الطول ، ويسارع لنشرها على جداره الفيسبوكي أين ينتظره جمهور من التافهين ، أو ينشرها على صفحة مجموعة أدبية تضم كل من يسعى إلى تفصيل حلم ليس على مقاسه ، يتناسخون تعليقات جاهزة وغير مفهومة يهتفون في غباء سريالي " واااو أنت رائع " ،" واااو أنت مبدع" " دام لك نبض الإبداع" يا لها من تفاهة!! ، قد يريد الرجل التافه الصغير أن يكون شاعرا وأستاذا جامعيا في نفس

الوقت دون أن يشغل البحث العلمي حياته وفكره ، قد يصبح أستاذا جامعيا بفضل علاقاته وصداقاته وهداياه ، لكنه سيضر حتما بالجامعة ، سيجعلها فضاء ينتج التفاهة والتافهين ، قد يريد أن يكون سياسيا أو كائنا انتخابيا أو رئيسًا لجمعية تلتهم الأموال العامة أو مسؤولا في منتدى تعزيز الأخلاق العامة دون أن يتحلى بأية قيمة أخلاقية صالحة.

الرجل التافه يريد أن يوشح صدره بالنياشين والميداليات والألقاب والشهادات ،لكنه يرفض أن يكون مسؤولًا عن أفعاله.!! يريد أن يصبح رجلا عظيما تافها ليصرخ بأعلى صوته :" لقد أصبحت رجلاً عظيمًا، يعرفني أهل فرنسا وتونس والجزائر وليبيا ومصر واليمن والأردن والسعودية والسودان وأمريكا وبريطانيا .. أنا معروف في كل بقاع العالم.. كما يعرفني كل أفراد وطني ،الحمد لله لقد أصبحت عظيما رغم كيد الحاسدين "..وهكذا يتضخم أناك ، لم تعد ترى إلا أناك ،لم تعد تعترف إلا بأناك ، لا تمنح حق الحياة إلا لأناك ،تتوهم أنك أصبحت تحت الأضواء ، وتعتقد أن كل المفكرين والملتزمين بالقيم والمبادئ يحاربونك ،وتظن أن حراس الثقافة يكرهونك ويحسدك متابعوك .

منذ فترة طويلة، وأنا على اتصال بك ، أصبحت أعرف حياتك من خلال تجاربي الخاصة وأريد الآن مساعدتك. حافظت على هذا الاتصال لأنني أريد فعلا أن أساعدك ،لأنك تنتظر مساعدتي، ليس لديك أدنى فكرة عما أنت عليه من تفاهة. كلما كنت أقل فهمًا كلما كنت أكثر استعدادًا لأن تبدي إعجابك بكل التافهين الذين تصادفهم في حياتك ، أنت تعرف نانسي عجرم

بشكل أفضل من نوال السعداوي، وتعرف ترامب زعيمك الأممي أكثر من مارتن لوثر كينغ ، وتعتقد أن الفائدة التي ستجنيها بتمسحك كالقط على قبر "ولي صالح" تدعمه الدولة بالمال العام أفضل لك من معرفة دور سيجموند فرويد في قراءة وتحليل النفس البشرية ، تعتقد أن ياسين العمري والشيخ محمد يعقوب ومحمد حسان والحويني أفضل من فرج فودة وطه حسين والكواكبي وقاسم أمين وجلال العظم ونصر أبو زيد والسيد القمني .

أشعر بالخوف منك عندما يكون المحارب الكامن في داخلي هو الذي يرغب في "قيادتك نحو الحرية". قد تكون قادرًا على اكتشاف نفسك في داخلي ، لكنني أشعر بأنني لم أعد مستعدًا للموت من أجل حريتك ،لأنك ترفض أن تتحرر بل انت تعادي الحرية وتعتبرها مصدر كل مشاكلك ، لهذا أجدك لا تقبلها وإنما تريد أن تظل عبدًا لأي شخص تافه مثلك ،ترى فيه قوة ترعبك ، أنت أيها الرجل التافه تحب أن يخيفك أسيادك ولو كانوا مجرد أوهام انتقلت إليك عبر الوراثة وعنعنة بئيسة .

لكي لا تبقى بعد الآن عبدًا لأي شخص، يجب أن تتخلص أولاً من الخوف الذي سكنك منذ أن كنت مجرد حيوان منوي يريد أن يلتحم مع بويضة تخاف من الحياة ، أنتما معا تشكلان ثنائيا تافها وخائفا من مغامرة الحياة . لا يمكن أن تنتصر على خوفك الذي ولد معك دون أن تعترف بقيمة الحرية ، ليتحقق هذا الشرط لابد أن تتوفر فيك حوافز ثورية لتتخلص من وحلك النفسي والاجتماعي . لا زلت ترتعد كلما واجهت سؤال الحرية ، وهو من أشد الأسئلة الوجودية البانية للذات المستقلة ، أمام

سؤال الحرية تكشر على أنيابك وتبرز مخالبك وتتحول إلى وحش شرس ، تريد أن تنهش وتفتك بكل من يريد أن يبني صرحا جديدا قويا للحرية . تختفي وراء قميص فضفاض من العقلانية المموهة تردد كما الببغاء " تنتهي حريتك عندما تبدأ حرية الآخرين " يا سلام على الكلام الحكيم الذي أصبح يتدفق من شفتيك !! أسألك أيها الرجل التافه هل تعرف متى تبدأ حريتك ؟ وهل تعرف متى تنتهي حريتي ؟ أنت لم تعش حرا يوما واحدا في حياتك ! فكيف لك أن تعرف حدودها ؟ وكيف لك أن تطالبني باحترام حريتك غير الموجودة أصلا ؟ كم أنت مراوغ واستراتيجي أيها الرجل التافه !! .

لتشعر بسراب الحرية قد تلجأ إلى حزب من الأحزاب ، تنضم إلى صفوفه ، وتحرص على أن ينادونك " المناضل " لكن أنت لم تنخرط في الحزب وإنما تحولت فقط إلى ممثل تجاري في كشك انتخابي تروج لسلعته المنتهية الصلاحية التي تسمم المجتمع وتبقي عليه فقيرا مشلولا . في أحسن الأحوال تلجأ إلى حزب تخلى عن مرجعيته الثورية التقدمية، يرفع لافتات وملصقات ملونة بالأحمر كتب عليها شعارات قديمة وتافهة ، قلت قد تلجأ إلى حزب من هده الأحزاب ، تنتظر أن يرسم لك مسارا نضاليا مزيفا تملأ به سيرتك الذاتية حينما يسمحون لك بالترشح للانتخابات الجماعية أو البرلمانية ،وأنت أيها الرجل التافه تنتظر دورك وأنت ترفع على كتفيك رجلا انتهازيا ترى فيه كل علامات العظمة والنبوغ ، ويزداد إيمانك به عندما يتحول إلى إله مقدس، لن تثق به أيها الرجل التافه الصغير إذا لم يتحول إلى إله يعرف كل ما تفكر فيه جهرا وسرا.

بهذا المعنى ،أنت من يخلق آلهتك وأسيادك. أنت ترى الآن كيف يكبر الرجال الصغار ليصبحوا رجالا عظماء ، أما أنت فتبقى حيث أنت! لا تبرح مكانك، تغوص أكثر في المستنقع الذي توسعه يوما بعد يوم بحرصك على أن تبقى تافها ! أنت تتابع " المسلسل الديمقراطي " كما تتابع مسلسلا تركيا تافها ، تنتظر نهايتهما معا ، وبما أنّ المسلسل الديمقراطي " لا يصل أبدا إلى حلقته الأخيرة السعيدة التي تتوج بانتصار الديمقراطية تجد نفسك تتابع مسلسلا تركيا جديدا وتتخبط لمعرفة النهاية ، لكن الإعلام الرسمي عرف كيف يجعلك مجرد شيئ يوضع في قاعة الانتظار، كم تعشق الانتظار أيها الرجل التافه ، تنتظرنهاية "المسلسل الديمقراطي" وتنتظر تحقيق "العدالة الاجتماعية" ، تقبل أن تسجن في قاعة انتظار مع المنتظرين ،كما تقبل أن تربط مستقبلك ومستقبل أبنائك بصناديق زجاجية غير شفافة كما تتسابق لتقديم طلب العيش وسط علب ضيقة لا تحفظ كرامتك.

رغم غياب الشفافية وتحول إلى جحيم أنت لا تفرط في إحساسك ، الفخر يملأك، يخفي فقرك ، أنت تفتخر بأي شيء ولو كان تافها لكنك لا تفتخر بذاتك لأنك تحتقرها وتكرهها ، تفتخر بانتصارات وهمية تحققت لك بملاعب كرة القدم وحلبة سباق المسافات الطويلة، تشعر بالإشباع الوهمي وأنت تتابع مباراة في كرة القدم رغم أنك تحمل معك جوعك منذ ولادتك، تبدي ارتياحك بانتمائك الهووي المزيف ، لكن أنت تتشبث بوهم التفوق الورقي ، تشعر بنشوة السعادة لأنك تملك ما يكفي من القوة لتدمر جيرانك ، ولا تدرك أن جيرانك هم كذلك يشعرون

بنشوة السعادة لأنهم حازوا ما يكفي من القوة لتدميرك ، أنتما معا لا تدركان أنكما ستدمران بكل ثقة وفخر ذاتيكما .

أيها الرجل التافه الأحمق! أنت تحتاج إلى جرعات يومية من الفخر ، لقد أصبحت مدمنا أتعرف لماذا وكيف ؟ إن الفخر يحفز مخك على إفراز الدوبامين ، الهرمون المسؤول عن الشعور بالسعادة ، حينما لا تتحقق انتصارات كروية وتهدأ مناوشاتك مع جارك، تدخل في حالة من الكآبة المدمرة ، تشعر بالحزن والملل والضجر ، تجد نفسك مضطرا للبحث عن محفزات جديدة تافهة ،أنت تحتاج إلى إفراز هرمون السعادة ،تريد جرعة من الدوبامين ولا تجد أمامك إلا شاحنة محملة بالبطيخ الأحمر أو عربة بها الموز تحرك فيك الفخر ، فيقوم مخك تلقائيا بإفراز الدوبامين لتأخذ جرعتك من الشعور بالسعادة . أصبحت أيها الرجل التافه مدمنا ، لا تختلف عن باقي المدمنين الذين تنهكهم المخدرات وتغيبهم عن ذواتهم وواقعهم . أنت أيها الرجل التافه لا تريد أن تضع حدا لهذا الإدمان التافه ، ليس لديك أية رغبة للتخلص من عبوديتك ، أنت لا تسعى إلى الحرية ، لأنك لا تحبها مادام أنك لم تعرفها.

ما أنجزه الفلاسفة الكبار من أجل أن يحرروا عقلك ، وما عانوه في قرون عديدة يمكن أن يُدمر في أقل من سنة واحدة بسبب تفاهتك وانتصارك للمستبدين الذين يشتغلون بوحشية للسيطرة عليك واستغلالك ، بل أكثر من ذلك، لا يتردد أسيادك في إخبارك بأنك وحياتك وعائلتك وآباءك وأجدادك وأطفالك لا تعنون شيئًا، لأنكم في نظرهم مجرد أغبياء تافهين وصراصير مزعجة .. لا يتردد أسيادك في إبلاغك أن لهم

القدرة ليفعلوا بك ما يريدون. لا يسمحون لك بالحرية الشخصية لكن في المقابل يمنحونك الحرية الوطنية. أتعرف الفرق بين الحريتين ؟ طبعا لا تعرف لأنك لم تهتم أبدا بمفهوم الحرية ، بل أنت تحاربها بضراوة وتحملها مسؤولية ما آلت إليه حياتك من قذارة وتفاهة .

الحرية الشخصية هي الحرية الحقيقية ، لن تصل إليها دون أن تبني ذاتك وتؤمن بفردانيتك وتحمل فكرا ليبيراليا حرا ، الحرية الشخصية تتحقق فيك حينما تحرر عقلك من القيود التي اختاروها لك واستأنست بها واعتبرتها امتدادا لوجودك ، الحرية الشخصية تتحقق حينما تتمرد على سلطة المقدسات والثوابت والخطوط الحمراء والطابوهات، الحرية الشخصية تتحقق حينما ترفض أن تسير مع القطيع وتقرر أن تخرج لتمارس أحلامك واختياراتك وتناضل من أجل انتظاراتك.

الحرية الوطنية ، هي الدائرة التي رسموها لك وأجبروك أن تتحرك داخلها ،ليس لك الحق أن تتحرك خارج حدودها ، الحرية الوطنية تمنح ولا تؤخذ ،لا يمنحونها لك مجانا يطالبونك بتأدية ثمن باهض من أجلها ، يطالبونك بأن تقبل التنازل عن فردانيتك وعقلانيتك وحريتك الشخصية ،يطالبونك بأن تقصي خصوصياتك ، لا يجب أن تفكر فيها، عليك أن تترك العقل الجمعي يفكر مكانك يملي عليك الاختيارات الجاهزة ، يقتل فيك الحلم والنظر إلى الأفق البعيد ، عليك أن تلتزم بثوابته ومقدساته وخطوطه الحمراء ، عليك أن تستقر في الماضي وترفض الحاضر والمستقبل ، عليك ألا تخرج عن الإجماع ، عليك أن تستقي منه حياتك، وطريقة موتك.

إدا تجرأت وقررت أن ترفض الحرية الوطنية سيتهمونك بالمروق والخروج عن الإجماع والخيانة العظمى ، سيرفع الإعلام صوته ليطالب بمحاكمتك بساحة عمومية بعد أن يجيش كل التافهين ليأخذوا معك سيلفي وأنت على المشنقة ، سيتحرك فيهم الإحساس بالانتصار لأنهم شاركوا في إعدامك وتفرز أمخاخهم المعتوهة جرعات من الدوبامين ، فيشعرون بسعادة لا مثيل لها .

في حالة الحرية الوطنية لا يطالبونك باحترام الإنسان ، بل يجبرونك على احترام الدولة، ولا يعترفون بقوة الشخص وإنما يقدمون قوة الوطن على أية قوة .

نظرًا لأن "الحرية الشخصية" لا تعني لك شيئًا، ستتبنى "الحرية الوطنية" وتدافع عنها بشراسة لأنك لم تهتم يوما بمصالحك الخاصة ، لقد صنعوا منك كائنا بنظر فقط إلى "مصالح الدولة" التي تسميها المصالح العليا للوطن ، طبعا نحن لسنا ضد هذه المصالح هي فوق كل اعتبار ، ولكن لا يجب أن تلغى الحرية والمصالح الشخصية ، يجب أن تسير هذه المصالح على خطين متوازيين.
لم يدفع أي من هؤلاء السادة المسيطرين على المجتمع ثمن الحرية الذي دفعه المناضلون الذين ماتوا من أجلها .
السادة لا يحبونك، أيها الرجل التافه الصغير بل يحتقرونك، لأنك تحتقر نفسك، جعلوك تقتنع بإنك مجرد رجل تافه! إنهم يعرفونك جيدًا بشكل أفضل منك. إنهم على دراية بنقاط ضعفك التي يجب أن تكون أنت وحدك على دراية بها.

لقد أخبروك بألف طريقة قالوا لك: "أنت كائن دون قيمة ولا مسؤولية، وستبقى كذلك." وأنت ترى أنهم "المنقذون"، و"المحررون الجدد"، وتصرخ بصوت عال "أحبكم، أحبكم أيها السادة" و "عشتم، عشتم أيها الأبطال!"
لهذا أخشاك أيها الرجل التافه ،أخاف منك!. أخشاك لأنك لا تهرب من شيء كما تهرب من نفسك. أنت مريض، رجل تافه، اجتمعت فيك كل الأمراض النفسية المستعصية.
لماذا لا تريد أن تتخلص من مرضك ؟. لو لم تدعم القمع، لكنت قد تخلصت من الظالمين منذ زمن طويل. لن تتمكن أي قوة في العالم من القضاء عليك إذا وجدت في حياتك اليومية، شرارة واحدة تدل على أنك تحترم ذاتك... لن تتمكن أي قوة في العالم من القضاء عليك إذا كان لديك الإيمان الداخلي بأن الحياة لن تستمر بدونك ليوم واحد. هل قال لك "محررك" هذا الكلام؟ لا أبدا ! سيدك يزدريك ، وضعك في خانة "الطبقة الكادحة" وأمطرك بالشعارات، فأصبغت عليه كل الصفات الحسنى التي كنت تخصصها للإله.
يجب أن تدرك أنك جعلت من سادتك ألهتك الجدد ، عذبت الرجال العظماء الحقيقيين، صلبتهم باسم الله، قتلتهم وتركتهم يموتون جوعًا؛ لم تفكر أبدًا في مصيرهم وفي العبء الذي تحملوه من أجلك؛ ليس لديك أدنى فكرة عن الذين تدين لهم بإنجازات حياتك.
لديك رغبة كبيرة بأن أكلمك عن فلسفتي في الحياة ، تريد أن تعرف في مادا أختلف عنك ، سألبي رغبتك وفضولك ، سأحدثك عن فلسفتي ... لكن إذا عرفت فلسفتي في الحياة، قد

تكرهني ، ستجدني ألتزم بمبادئ تختلف عما اعتدته في واقعك ،قد تختار ببساطة أن تبتعد لتعيش عزلتك مع تفاهتك.
أنا إنسان عادي ، أعيش منسجما مع أفكاري ومبادئي ، علاقتي بالدين عادية ، اعتبر الدين اختيارا فرديا ، لا أفكر في مصيري بعد الموت لأنه لا يهمني ، بما أنه لا يؤرقني ولا أجد أي داع لأفكر فيه ، لا أهتم بقناعاتك الدينية لأنها تخصك أنت ، أهتم بأفكارك وسلوكاتك اليومية ،اهتم بمدى انخراطك في تغيير وإعادة بناء نفسك والمجتمع على أسس الديمقراطية والعدالة الاجتماعية والحداثة ، اهتم بمدى تمثلك للقيم الإنسانية وحركة التنوير، أعيش حياتي حرا على مستوى التفكير والاعتقاد، لا أحب المظاهر التعبدية التي تحاول أن تظهر بها تميزك على الآخرين ، لا أرث الإيمان ولا أورثه إلا بما اتصل بالقيم الإنسانية والعقلانية والفكر النقدي ، أشك في التاريخ ، لا أقبل حكاياته التي توارثناها ، لا أحكيها لأطفالي حتى لا أعلمهم الكذب ، لا أقدس السلف لأنهم ورثونا عقلا جمعيا خطيرا ومرعبا، اللغة العربية ليست منزلة من السماء أنتجها أناس ليتواصلوا ، لا أومن بهوية مقدسة ، ارفض المقدسات والثوابت والكليشيهات الجاهزة ، لا أريد أن أصنع أصناما جديدة ، ولا ألتزم بالتقاليد والشعائر المتوارثة ، أتمرد دوما على العقل الجمعي وأود أن ينفجر من الداخل لينشأ عقل جمعي جديد أساسه الحرية ، عقلنا الجمعي الحالي يتكون من متلاشيات ثقافية تشدنا إلى الماضي وتمنعنا من النظر إلى المستقبل ، ثقافتنا تافهة انتهت مدة صلاحيتها ، كل التفاهة التي تمارس استبدادها علينا حاليا مصدرها هذا العقل الجمعي المعتوه.

لم أعد أحب كرة القدم لأنها تحولت إلى أفيون يخدر الفقراء، ويوسع دائرة التافهين ، أنا لا أنساق وراء ثقافة الاستهلاك ،أرفض الرأسمالية واختار من الموسيقى ما يشعرني بوجودي ، أكتب كثيرا دون أن أبحث عن الشهرة ، ولا أقيم حفلات لنشر أفكاري. إذا كانت أفكاري صحيحة، ستنتشر بمفردها.

أنتظر أن يدرك الرجال والنساء أن معركتهم واحدة ضد الاستغلال والتهميش والتشييء، أنتظر أن يتمكنوا من تحقيق العدالة الاجتماعية والمناصفة والمساواة الحقيقية ، أن يحققوا حريتهم بإرادتهم وليس بقرارات سياسية فوقية . أود أن يتمكن الأطفال والمراهقون من معرفة السعادة والحب والاستمتاع بالحياة دون أي خطر.

أنت ترى أن كل ما قلته عن فلسفتي في الحياة يتعارض مع معتقدك الديني ، لذا لن استغرب إذا كفرتني ، تكفيرك لي موقف انفعالي تافه ، لأنك لم تتعامل مع أفكاري بموقف المحلل الناقد ، انتقيت منها ما يتعارض ومعتقدك فقط ، وأنا قلت لك سابقا إن الاعتقاد هو أمر خاص وشخصي ، في الحقيقة أنا اشك في تدينك ، لا أرى فيه اقتناعا صارما ،لأن سلوكاتك اليومية تدل على ذلك ، والخرافات التي تروجها لا تدل على أنك تحترم أي معتقد ديني .

أعرف أنك فصلت الإله حسب تصوراتك ورغباتك ونزواتك ، لم تصوره أبدا حبا وأمانة وصفاء وجمالا ،لم تولد هذه الصور في داخلك ولم توزعها على من حولك.

أعرف أيها الرجل التافه أنك تتاجر بالدين، تراوغ وتنافق ، تظهر خارجيا صورة التقي الورع المصلح الزاهد ، لكنك تؤدي

صلواتك بحركات آلية مملة ومرهقة ،لأنك اختزلت الدين في مجرد طقوس ومظاهر تعبدية ، جعلت من الأدعية عصا سحرية تريد أن تحل بها كل مشاكلك ، وكم جعلت منها سلاحا تحارب بها أعداءك ، لازلت أيها الرجل التافه تدخل مراحيض المساجد وتهدر المياه الكثيرة وكأنك تريد أن تستأثر وحدك بهذا الكنز ، تود ان لا يصل الماء إلى كل الأحياء الهامشية التي تكدس فيها الفقراء والمعطوبون ، تود لو ينضب الماء بعد وضوئك ،لأنك لا تهتم إلا بمصيرك ،وتريد أن تجمع كل الحسنات بأية طريقة ،حتى لا يسبقك جارك إلى الجنة ، تود أن تدخل الجنة وتغلق أبوابها ، لا تريد أن يقاسمك أحد النعم التي وعدك بها تجار الدين ، كم أنت أناني أيها الرجل التافه !

كان الفراعنة يسافرون إلى العالم الآخر وهم يحملون كل زينتهم ومتاعهم ، أما أنت فتسافر إلى العالم الآخر وأنت تحمل أنانيتك وشرهك وجوعك واستبدادك وعنفك .

لا زلت أيها الرجل التافه تدخل المسجد وأنت تفكر في حذائك أثناء أداء صلاتك ، تدعو الله أن يحفظه من عيون اللصوص الذين يصلون بجانبك ، لازلت أيها الرجل التافه تتسابق لاحتلال الصفوف الأولى بالمساجد ولا تتسابق لتأدية عملك بإتقان . أنت أيها الرجل التافه خواف ، كثير القلق وكئيب تعيش كل حياتك في أحلام اليقظة.

أنا كذلك أشعر بالخوف ، أشعر بخوف شديد منك، أيها الرجل التافه. لم يكن الأمر كذلك دائمًا. أدركت مدى مرضك النفسي وكم أنت خطير بكل العاهات التي تحملها بداخلك. تعلمت أن مرضك العاطفي هو الذي يكبحك في كل حياتك، حتى وإن لم

يكن هناك أي ضغط خارجي يمارس عليك. لو كنت تملك حياة داخلية متوازنة، لتخلصت من الطغاة منذ زمن طويل ، لكن علي أن أخبرك بأن كل الذين يضطهدونك يعرفونك جيدا ، خبروك وخبروا انشغالاتك وأحلامك التافهة ، وطموحاتك المتواضعة ، هم على علم بتجربتك الحياتية المؤلمة وقد عرفوا كيف يوظفونها لاستغلالك واضطهادك بشكل أفضل لا يثير احتجاجك وغضبك ، بل حصل العكس ، كلما اضطهدوك أكثر أحببتهم أكثر وقدستهم أكثر .

أيها الرجل التافه ! أنت لا تملك ما يكفي من قوة داخلية لتمكنك من التعرف على الإنسان الحقيقي العظيم. أنت لا تعرف شيئًا عنه ، ولا تعرف معاناته، وطموحاته، وكفاحه من أجلك. أنت فقدت كل ثقتك بوجود إنسان مختلف عن أسيادك وعنك أيضا ، أنت لا تثق بوجود رجال ونساء لا يفكرون في قهرك واستغلالك، رجال ونساء يرغبون بصدق في أن تكون حرًا، حقيقيًا، صادقًا. أنت لا تحب هؤلاء الرجال والنساء، لأنهم غرباء عن كيانك، رغم إنهم بسطاء وصرحاء؛ يناضلون من أجل الحقيقة التي تراها أنت مجرد روتين وتفاصيل غير مهمة ، هؤلاء الرجال والنساء يخترقونك بنظراتهم، ليس للسخرية منك، بل لأن ما آل إيه مصير البشرية يؤلمهم.

أنت تخاف من الرجال العظماء، تخاف من ارتباطهم الوثيق بالحياة وحبهم لها. اعلم أيها الرجل التافه أن الرجل العظيم يحبك لأنك إنسان .إن أعظم رغبة لديه هي أن لا يراك تعاني كما عانيت لآلاف السنين، وأن لا يسمع منك الهراء كما سمعه لآلاف السنين. يريدك أن تتوقف عن أن تكون مجرد كائن تافه،

لأنه يحب الحياة ويسعد عندما تقرر وضع حد لمعاناتك السيزيفية العبثية .
الرجل العظيم يختلف عنك لا يعتبر تراكم المال والثروة وزواج بناته من رجال ذوي مكانة اجتماعية عالية، والتقدم في السياسة، أو الحصول على درجات أكاديمية، هدفا أسمى في الحياة. إنه يختلف عنك كثيرا ، قد تصفه أنت "عبقري" أو "مختل". هو يعترف بأنه ليس عبقريًا وإنما مجرد كائن حي. أنت تقول عنه إنه قليل التواصل لا يحب الحياة الاجتماعية لأنه يفضل كتبه ودراسته وتأملاته، وعمله في مكتبه، على أن ينخرط في محادثاتك واجتماعاتك التافهة. أنت تعتبره مجنونًا لأنه ينفق أمواله في الأبحاث العلمية وطبع كتبه بدلاً من شراء السندات والأسهم والعقارات والمتاجرة في الأغنام والأبقار ، كم من طبيب تافه اشتغل في المتاجرة بالبشر والغنم في نفس الوقت ، كم من أستاذ جامعي تافه هجر البحث العلمي وانشغل بالبحث عن العقار ليتاجر فيه ، كم وكم ...! أنت تسمح لنفسك، أيها الرجل التافه، أن تبقى مغيب الوعي والإدراك ، وترى في هذا التغييب أمرا طبيعيا ،أولا لأنك تعتقد بأن الوعي متعب ، ثانيا لأنك ترى نفسك تنحدر من "الهومو الصغير".

بضيق أفقك، واستدلالاتك الزائفة، وتشبثك بالمبادئ الثابتة التي لا تقاوم بضع سنوات من التطور الاجتماعي، أنت تعمق تفاهتك. أنت تفكر فقط في الأمور التي تعتقد أنها صحيحة لا تتغير ، رغم أن التطور العلمي والمعرفي كشف أن الكثير من معتقداتك غير صحيحة لا تصمد أمام العقل والفكر النقدي ، منذ سنوات قليلة كان صحيح البخاري يعد من أصح الكتب في

الثقافة العربية ، اليوم انهار الصحيح ولم يعد صحيحا ، تهاوت قدسيته بعد أن أخضع للقراءة النقدية ، كم من حقيقة أدركت أنها خاطئة وقمت بالتراجع عنها ؟ لا حقيقة واحدة تراجعت عنها ، لازلت وأنت في الألفية الثالثة لا تصدق أن الأرض كروية تدور على نفسها وعلى الشمس في نفس الوقت ، هي حقيقة أثبتها العلم وخاض من أجلها كوبيرنيكوس وجاليلو مع الكنيسة معارك ضارية ... أيها الرجل التافه! لا تريد أن تعترف بأن الحقيقة نسبية ومغيبة أحيانا كثيرة ، تعادي من يقرأ صحيح البخاري على ضوء العقل والفكر النقدي ، لأنك تعرف أن هذا الكتاب الذي بالغت في تقديسه سينهار و سينهار تاريخك وتنهار أنت وتندثر .

الرجال الحقيقيون العظماء الذين يحاربون تفاهتك يَصُوغُونَ أفكارهم بحذر، وعندما يصلون إلى فكرة كبيرة، يستغلونها بشكلٍ فيه الكثير من التطلع إلى المستقبل، أما أنت أيها الرجل التافه فإنك تعامل الرجل العظيم بنوع من التهميش واللامبالاة وبتعاملك الفج تدفع به نحو العزلة، فيقرر أن يعتزلك بما أنك تؤول كل أفكاره بشكلٍ خاطئ مسيء.

أيها الرجل التافه ! أنت هو "الشعب"، و"الرأي العام"، و"الوعي الاجتماعي" و" العقل الجمعي". هل فكرت يومًا في المسؤولية الضخمة التي تتحملها بتفاهتك وتصرفاتك هذه؟ هل سألت نفسك يومًا إذا كان رفضك للآخر مبني على الاستدلال العقلي ؟ هل رفضك لكل الأفكار الجديدة له مبررات معقولة ؟ لماذا ترفض الحداثة والتنوير والعلمانية والحرية دون أن تعرف معانيها وتاريخها ونتائجها ؟ هل أنجزت أية دراسة جدية تعتمد

على الحقائق الاجتماعية والعلمية، و الإنجازات البشرية الكبرى لتتأكد من صدق حقيقتك ؟ لا ! لم تسأل نفسك أبدا ما إذا كانت أفكارك تستند على الحقيقة .... لا ! لم تسأل نفسك أبدا ما إذا كانت أفكارك صحيحة ... فضّلت الاستماع إلى ما يقوله لك تجار الدين ، فضلت الحقيقة الثابتة المطلقة التي تأخذها من اليوتوب والقنوات الفضائية ، فضلت أن تأخذ الحقيقة من أفواه التافهين مثلك ، عجبا لك أيها الرجل التافه ! أنت ترفع تفاهة تجار الدين إلى مستوى المقدس، ألم تدرك كيف يزيف الدعاة الحقائق العلمية ويتعمدون حشوك بمعلومات غير صحيحة لا يقبلها العقل ، منذ أكثر من 15 قرنا وأنت تتناقل حكاية رجم القردة الزانية ،وحكاية رجم أنثى اللقلاق الزانية ، وحكاية الذئب المسلم ، والضب الذي نطق بالشهادتين ، لا تجد أي حرج في نقل نفس الحكايات السخيفة إلى أبنائك وأحفادك ، لا تشعر بالخزي والعار وأنت تجعل من أبنائك وأحفادك رجالا أغبياء تافهين مثلك .

يجعل منك خطاب تجار الدين رجلا تافها وغبيا، أقصى أفق تساؤلاتك لا يتجاوز حرصك على معرفة نوع الريح الذي ينقض الوضوء ونجاسة الكلب الأسود والمرأة والحمار، وجواز الزواج من الطفلة وفي أي عمر يحق لك أن تعاشرها ، ومعرفة نصيبك من حور العين ، وأحكام الجماع وطبيعته معهن ، و الأكلة الأولى لأهل الجنة ولغتهم . إنها عينة من الأسئلة التي تشغلك وتؤرقك وأنت على قيد الحياة ، تبحث عن رجل تافه يحترف النصب الديني ليؤكد لك ما تعرفه مسبقا باطلاعك على

نصوص مؤولة تأويلا شبقيا، وأحاديث لا نعرف مصدرها الحقيقي وكيف وصلتنا.
فرضت على الرجل العظيم أن يعيش منعزلا ، لم تبال بالضرر الذي لحقه ، استمررت في سخريتك السخيفة ، وتصرفاتك السيئة التافهة، تناسيت كل المكتسبات التي تحققت لك بفضل نضال العظماء، وبسبب غبائك فرطت فيها حينما أصررت على أن تحكمك عصابة من تجار الدين استغلوا جهلك واندفاعك رفعوا أمامك شعار " الإسلام هو الحل " وأنت في نشوة الانفعال التافه والفرحة الغبية سطوا على كل المكتسبات التي احتاجت أكثر من ستين عاما من النضال ، اتسعت دائرة فقرك ، سرى في كيانك الشك من " الإسلام هو الحل " فجاء من قال لك :" تستحق أحسن " للأسف غاب " الأحسن " كما غاب "غودو".
لقد أضعت كل شيء بسبب غبائك ، عليك أن تعرف أيها الرجل التافه أن ما أضعته كلف الرجال المناضلين والمفكرين تضحيات جسيمة ، ولكن لحسن حظك أن ما يميز الرجل العظيم أنه لا يفكر في الانتقام منك، إنه يبذل كل جهده لمعرفة أسباب تدنيك.
اعرف أنك لا تستوعب حجم هذه التضحيات ، سأقول لك شيئا أرجو أن تصدقني ولا تؤوله : وإن جعلت الرجل العظيم المناضل والمفكر يعاني من سلوكاتك التافهة، وإن ألحقت به الضرر وتسببت له في جروح عميقة سيواصل حمل هم معاناتك اليومية ،سيستمر في بناء مشاريع تغيير حاضرك وبناء مستقبلك ، لن ينتقم منك أبدا لأنه يعرف أن رفضك لأفكاره

وقيمه وانتظاراته وأحلامه لا يقوم على وعي وإدراك صحيح للواقع ، يعرف أن أسيادك وتجار الدين عطلوا عقلك وأعادوا بناءك لتصبح مجرد رجل تافه غبي .

لا يسعى الرجل المناضل ، المفكر والمثقف العضوي إلى تدميرك ، يريد أن يساعدك لتعرف ذاتك وتعيد بناءها ، يريد أن يعرف لماذا احترفت ارتكاب الأخطاء ، ولماذا أنت عنيف وشرير تحب أن تسيء إلى نفسك ، وتتلذذ أكثر بالإساءة إلى شريك حياتك وأطفالك ،يريد أن يعرف لماذا تسخر من شخص لطيف لا يؤذي أحدا ، لماذا توجه ضربة مباغتة إلى إنسان على وشك السقوط ؛ لماذا تكذب عندما يجب أن تكون صادقا.

أنت دائمًا تصطف إلى جانب جماعة المضايقين، لا أصدقاء لك، لا أحد يريد أن يكسب صداقتك العديمة الفائدة ، لأنك تريد أن تفرض على أصدقائك أن ينزلوا إلى مستواك، ويتحدثوا كما تتحدث، ويستعملوا نفي اللغة الساقطة التي تتكلم بها ، تريد منهم أن يحملوا نفس صفاتك وقيمك ، لن يقبل أحد صداقة بهذه الشروط ، لأنهم يعرفون إن هم حملوا صفاتك ولغتك وتفاهتك وغباءك، سيتوقفون عن أن يكونوا رجالا عظمًاء ومناضلين ومثقفين عضويين. تسأل لماذا يرفضك أصدقاؤك؟ باختزال أقول لك إن الأشخاص الذين يتحدثون كما تريد أنت أن يتحدثوا لم ولن يصبحوا أبدًا عظماء ، عليك أن تؤمن أولا بالحرية وتسمح لهم بأن يمارسوها في التفكير والتعبير .أنا أيضا أريد أن أطرح عليك سؤالا : ألا تعتقد أن صديقك قادر على أن يكون عظيما ؟ أنت لا تريد أن يصبح صديقك عظيما ، في أعماق نفسك أنت تحتقره حتى عندما تريد أن ترفع من شأنه ، أنت

غير قادر على احترام وحب أي صديق لك. لا تستطيع أن تصدق أن شخصًا ما جلس على نفس الطاولة معك، وعاش معك في نفس المنزل، قادرً على تحقيق إنجازات كبيرة. لهذا يجد جميع الرجال العظماء أنفسهم وحدهم وهم بجوارك.
استمع أيها الرجل التافه! التفكير فعل إنساني مهم ، يمكن أن تفكر في نفسك، ولكن ليس بإمكانك التفكير مع الآخرين. لأنك تخنق كل فكرة مبتكرة ، تمنع غيرك من التفكير ، لا تحفزهم على تبني هذا الفعل في سلوكهم اليومي ، تريد أن تقدم لأبنائك الفكر الجاهز النمطي المنصهر في قوالب مصنوعة خارج ذواتهم ، لماذا تتصرف هكذا ؟ لأنك كسول وغبي ، تشعر بالتعب والملل والخوف وأنت تعودهم على التفكير ، ستشعر بالقلق وأنت تواجه أسئلتهم المقلقة ، تريد أن تتجنب المتاعب فتلوذ بالصمت وعندما تنطق تعطي الأوامر والتعليمات وتصرخ في وجه زوجتك: " ما هذه التربية الفاشلة ! يجب على أطفالك أن يبقوا هادئين، لا يجب أن يتكون لدى أطفالك!"
سأقول لك شيئًا قد يقلقك، استمع أيها الرجل التافه! لقد فقدت الشعور بأثمن ما يمكن أن يحمله الإنسان ،فقدت الشعور بالحب ، لقد خنقته تتبعت أثره في نفسك وفي الآخرين، في أطفالك، في زوجتك ، في الطبيعة ، لقد قتلته ودفنته ، وتحولت إلى رجل بئيس وقاحل. أنت فعلا رجل تافه وتريد أن تبقى تافها. هل تريد أن تعرف لماذا ؟ أنا أعرف عنك كل هذا سأخبرك.
تعرفت عليك من خلال تجربتي الحياتية، عشت معك، فهمتك عن طريق احتكاكي بك كمدرس لمدة أربع وثلاثين سنة ، وكفرد من هذا المجتمع يخرج إلى التسوق لقضاء أغراضه

اليومية ، وكناشط جمعوي بجمعية لذوي الاحتياجات الخاصة ، وكمؤسس ومؤطر في نادي للأنشطة التربوية المدرسية ، وكصحافي اشتغل أكثر من خمس وعشرين سنة كمحرر ورئيس تحرير ومدير للعديد من الجرائد ، تعرفت عليك من خلال قراءاتي وكتاباتي وردود أفعالك. أعرف كم تكره الصدق ، وأعرف الرعب الذي يشل حركتك عندما يُطلب منك أن تكون أنت.

أعلم أيضا أنك لم تعرف التفاهة فقط، وإنما عرفت أيضا "لحظات عظيمة"، لحظات "النشوة" و"الارتفاع"، و"الصعود" ، لكنك لا تملك الطاقة الكافية للارتفاع باستمرار، للصعود الدائم إلى مستويات أعلى، لأنك تخاف من الارتفاع والعمق. قال نيتشه كل ذلك بشكل أفضل أحسن مني، منذ حوالي قرن ونصف ،لم يقل لنا لماذا أصبحت تافها وصغيرا ، حفزك نيتشه لأن تصبح إنسانا متفوقا ، قادرًا على تجاوز العجز الإنساني الموجود فيك ، لم تستوعب ما كان يقوله نيتشه ، سارعت لتكفيره ومنعت المجتمع من تداول كتبه . أما أنت، فظللت "الإنسان الدنيء"، "الإنسان تحت الصفر". أود أن تتوقف عن أن تكون "إنسان دون الإنسان" وتصبح أنت. أعرف أنك تجهل من أنت وكيف أنت في أعماق ذاتك.. إذا وضعت أمام خيار الذهاب إلى مكتبة أو الانضمام إلى شجار، ستختار حتما الشجار. تفضل الأمان والاستقرار، على السعادة ،وبما أنك لم تتعلم أبدًا كيف تخلق السعادة، وكيف تكون سعيدا وكيف تتمتع بها وتحافظ عليها، فإنك تجهل الثمن الذي يجب أن تؤديه لتنالها وتجعلها منار حياتك وبهجة محيطك . أنت تختار دوما ما هو

رديء ، فتكون حياتك رديئة مملة . بسبب غبائك المركب وذوقك الرديء وتفاهتك المذلة لا تستطيع أن تدرك حجم الأشياء التافهة التي تم تصميمها لاستدراجك لتقبل على استهلاك كل ما هو تافه بنهم شديد .

استمع أيها الرجل التافه! إن بؤس الوجود يتجلى في كل أعمالك , كل فعل من أفعالك يجعل أمل تحسين وضعك بعيد المنال ،وهذا ما يجعلك دائم الحزن ، كأنك ولدت حزينا وعشت طفولتك حزينا ، وصرت شابا حزينا ، ظننت أنك لن تبق حزينا عندما تتزوج ، فإذا بك ترتبط بامرأة ولدت هي الأخرى حزينة ، فأنجبتما أطفالا حزينين ، أنت تعيش مع أسرتك ونسلك في دائرة جهنمية ، تتعايشون مع الحزن والألم ، ليصرفوك عن الحزن الجاثم على حياتك صنعوا لك نُكَتا قصيرة رخيصة سميتها "فكاهة الشعب".

يستنسخون نفس النُكَت عنك وأنت تضحك بصوت عال مع كل التافهين . أنت لا تدرك أنك تسخر من نفسك ، جعلوك تعتقد أنك تسخر من الإنسان التافه ، في الحقيقة أنت تسخر من نفسك. ملايين البشر التافهين لا يدركون أنهم يتعرضون للسخرية ، ألم تتساءل ، لماذا يسخر الناس منك أيها الرجل التافه ؟ لماذا يسخرون منك بكل فرح وتفاؤل؟ ألم تلاحظ أن صانعي الأفلام يصورون كليشيهات "الشعب" بشكل مضحك ومقزز في نفس الوقت؟ سأخبرك لماذا يسخرون منك. لأنك ترى كل الأجناس البشرية دونك أصلا وشرفا ، لا زلت تردد بافتخار فارغ أمام الملأ أنك تنتمي إلى خير أمة أخرجت للناس ،بماذا خير أمة ؟ لا أحد يعرف ، أنت وحدك من يعرف هذه الحقيقة ، تريد أن

تفرض هاجسك الهوياتي التافه على كل البشر ، في الواقع مشروع الهوية بالخلفية التي تحملها نسف منذ نهاية الحرب العالمية الثانية عندما انهار الرايخ الثالث وانتحر هيتلر ، كل إنسان أصبح له الحق في تحديد هويته، ليس من حقك أن تحشرني في مشروعك التافه، لا علاقة لي بشعار "خير أمة" أنا أعتبر نفسي نتاج تقاطعات بيولوجية وثقافية كثيرة ومتنوعة لها امتداد في تاريخ البشرية ، أعتبر وجودي نتاجًا فكريًا وثقافيا لتلاقح الطبقات والأعراق والشعوب.

إن نظرية "العرق النقي" التي روج لها كل من هتلر وموسوليني و"خير أمة " التي تروج لها أنت و"شعب الله المختار" التي تروج لها الصهيونية أسقطت الشعوب في مستنقع العنصرية، ومنعت الحرية والاختلاف ، علمت أنك رفضت دخول فتاة بمايو السباحة إلى الشاطئ ، كما رفضت بشدة أن تدخل فتاة بالبيكيني إلى العالم التخييلي لقاصة حاولت فقط أن تقدم رؤية عن ثقافة الاختلاف ، ورفضت أيضا أن تخرج المرأة من بيتها وقد وضعت عطرا ،ورفضت أن يعيش مفكر دعا إلى إعادة قراءة تراثك ، ورفضت كل من اختار أن يكون حداثيا أو تنويريا أو علمانيا .

لقد كشرت على أنيابك وأخرجت مخالبك في وجه من اختاروا أفكارا ومواقف غير التي تتبناها ، لقد اقمت الدنيا ولم تقعدها وأطلقت العنان للسانك ليصب جام غضبك التافه على كل المختلفين عنك ، تحولت إلى ملاك غير طاهر بدون أجنحة بيضاء . لا أعتقد أن الجنس العربي هو فوق كل الأجناس .لا أزدريك ولا أكرهك ،ولكنني لا أتواصل معك لأنك مقتنع بأنك

أعلى درجة مني ، مقتنع بأنك من أصل شريف . عليك أن تعرف أن قناديل البحر احتاجت ملايين السنين من التطور لتتحول إلى كائن يمشي على اليابسة. تخلفك البيولوجي وتصلب مخك احتاج فقط إلى حوالي 1400 سنة. سيتعين علينا أن ننتظر آلاف سنين حتى تعيد اكتشاف طبيعتك الحقيقية، وتوقظ القنديل الموجود بداخلك ، حتى تتغير وتقتنع بضرورة تحقيق العدالة البشرية هنا على الأرض التي تعيش عليها مع الآخرين . حينما انطفأ القنديل الذي أنار لك الطريق منذ ملايين السنين ، تحولت إلى كائن ظالم ، أولت نصوصك لتضفي شرعية إلهية على ظلمك ، ولم تجد أي حرج في ممارسة ظلمك واضطهادك على "الأم العازبة" دون أن تطلع على ظروفها ومسؤولية الرجل التافه المخادع. سارعت إلى النطق بحكمك عليها ، حملتها مسؤولية انهيار المجتمع وإفساده بإدخال فساد الغرب إلى مجتمعنا الفاضل ، ورفضت بأن تعترف أن ظاهرة "الأم العازبة" موجودة منذ القديم في مجتمعاتنا العربية ، ليست وليدة العصر الحالي كما ليست ناتجة عن انفتاحنا على ثقافة الغرب ، ولكن عندما تقف في حدود إنكار وجودها ، فإنك لا تتجاوز أن تستنجد بسلوك النعامة التي تدفن رأسها تحت الرمال في انتظار أن تمر العاصفة ، بإدانتك للظاهرة فإنك تدين من تعتبرهم " أطفال غير شرعيين " وأنت غير ملم بالظاهرة ولا تفقه فيها تلجأ إلى شيوخ الدين تستصدر الفتاوى لتضييق الخناق على الأطفال لم يختاروا أن يولدوا ، طردتهم من حق الإرث ورخصت لآبائهم بان يمارسوا الجنس غير الشرعي على بناتهم غير الشرعيين ، لينجبوا أطفالا غير شرعيين من جديد ، هل

تعلم أيها الرجل التافه أن شيوخك رخصوا لك الزواج من بناتك غير الشرعيين ،ومنحوك حق بيعهن في سوق النخاسة ، كل الفتاوى التي تحيط بهذه الظاهرة استنبطها شيوخ الدين من مصنفات الحديث وعلى رأسها صحيح البخاري وصحيح مسلم.
أنت فعلا رجل تافه مذل حينما تقدس هذه الفتاوى وتهجر ما يمليه عليك عقلك . هل تعلم أن لجاليلي مبتكر الجسور التي تمر عليها سياراتك وقطاراتك ،ثلاثة أطفال ولم يكن لديه شهادة زواج؟ ألم تطالب بشنق جاليليو لهذا السبب أيضا؟ الكثير من الشخصيات العربية والإسلامية التي صنعت التاريخ الذي تفتخر به ولدوا خارج العلاقة الزوجية ، ها هو زياد بن أبيه لا يعترف به والده ابوسفيان وها هو عنترة بن شداد ابن نزوة جنسية بين رجل وأمة كان يستغلها جنسيا.
هناك الكثير من الشخصيات التاريخية العربية والإسلامية ولدت خارج مؤسسة الزواج ، ولا أحد ينكر فضلهم ومساهماتهم الفكرية والبطولية ، قدمت لك بعض الإشارات التي تدل أن ظاهرة " الأم العازبة " موجودة في كل الأمم ولها امتداد في التاريخ ولم يتم رفض أطفال الأمهات العازبات ، لا يجب أن تؤول كلامي تأويلات تخفي الفكرة التي أطرحها ، أنا لا أعبر عن موقف من الظاهرة وإنما أحرص على قراءتها انطلاقا من شروطها الواقعية الموضوعية ، وفي نفس الوقت أتشبث بكامل حريتي للتعبير عن النتائج التي توصلت إليها.
وأنا أناقش معك قضية " الأم العازبة " وجدني أناقش معك مجموعة من المفاهيم منها الحقيقة ورأينا معا كيف أنها تغيب حينما نود مناقشة قضايانا الحساسة ، كما طرحنا السلوك

الانتقائي الذي نمارسه ونحن نتعامل مع التاريخ ، ننسب كل ما هو جميل ونقي إلى الماضي وكل ما هو خبيث وفاسد إلى الحاضر ، كما طرحنا مفهوم الحرية وحق كل فرد في أن يقوم بقراءة للظواهر الحساسة شرط أن يتقيد بالموضوعية ، ولكن أنا مقتنع بأنك لا تعلم شيئا عن أهمية العلاقة بين الحقيقة والتاريخ والحرية، لأنك تجهل تمامًا أن أفكارك البذيئة ولا مسؤوليتك يفرضان عليك الكثير من القيود! تشعر بأنك مسكين، عاجز، فارغ، بلا حياة.

لم تستطع أبدا أن تجد رفيقة العمر التي تقاسمك الأحلام والانتظارات والتحديات ، عندما يحالفك الحظ وتربط علاقة مع امرأة ، فإنك تريد منها شيئًا واحدًا فقط، تريد أن أتمارس جنسا تسميه " الجماع الشرعي " تريد أن تثبت فحولتك لنفسك ،لتشعر أنك "ذكر" كامل الذكورة. لشرعنة جوعك الجنسي التاريخي اخترعت أحاديث تمنحك حقا إلهيا في الجماع ... تمنح لك الحق في أن تؤتي زوجتك أنى شئت ، إن تهورت في لحظة مرض أو تعب و امتنعت عن منحك حقك تبيت ملائكتك تلعنها ، يا لها من تفاهة مذلة ! .

أنت تجهل معنى الحب أيها الرجل التافه ! . لقد أثقلك عجزك فتحولت إلى كائن متعبد، يعاني من الخوف والوسواس القهري والهوس الجنسي . أنت لا تفكر إلا في ممارسة الجنس !ألا تلاحظ أن وسائل التواصل الاجتماعي فصلت الإعلانات التي تستهدفك اعتمادا على قراءة شخصيتك وتحديد أمراضك النفسية وعاهاتك الجنسية ، غباؤك يدفعك إلى الاعتقاد بأن وسائل التواصل تقدم إليك حلولا لتعالج شرهك الجنسي ولكنها

تستغل كل عاهاتك لتراكم ملايير الدولارات على حسابك ، يعرفونك حق المعرفة ، كم من مرة وجدتك تبحث عن كوتش تنتظر منه أن يعلمك كيف تعيش جنسك في الليل لكي لا تكون مهووسًا به في النهار، ولكن عندما يتحدثون إليك عن الجنس، تداري هوسك فتصرخ قائلاً: "الجنس ليس كل شيء في الحياة. هناك أشياء أكثر أهمية منه!" هكذا ترد أيها الرجل التافه المهووس بالجنس.

قد تلبس ثوب "الماركسي" أو "الثوري محترف" أو "الزعيم" المتطلع لقيادة الطبقة الكادحة والعمال. تدعي تحريرهم من الاستغلال والفقر. يستمعون إليك بشغف وأمل. ينضمون إلى تنظيمك الثوري ، يرفعونك على أكتافهم ،وأنت ماذا تفعل أيها التافه المتنكر بقناع الثوري ؟ تصوغ الشعارات تلو ألأخرى تكتبها على لافتات عريضة وطويلة ، كشيخ زاوية تترفع على ملذات الدنيا وتقول في تجمع جماهيري : "الجنس هو اختراع لصغار البرجوازيين. العامل الاقتصادي والتحرر من الاستغلال أهم من كل إغراءات الرأسمالية !" عندما قرر رجل عظيم أن يوفر لك أسسا علمية لتتحرر اقتصاديا واجتماعيا وسياسيا، تركته يموت جوعًا.. لم تدرك أنه وجد في عملك القوة التي تخلق القيم. لم تدرك أن علمه بالسوسيولوجيا يهدف إلى حماية مجتمعك من حالتك. لم تفهم شيئًا على الإطلاق!

استنزف الرجل العظيم كل طاقته ليثبت لك ضرورة تحسين ظروفك الاقتصادية برفض الاستغلال والثورة على المستغلين ، إذا كنت ترغب في الاستمتاع بالحياة؛ لأن الأفراد الجائعين غير قادرين على تعزيز الثقافة؛ عليك أولا أن تحرر نفسك

ومجتمعك، من كل أشكال الاستبداد. هذا الرجل العظيم ارتكب خطأين وهو يحاول إرضاءك ، اعتقد أنك قادر على التحرر وحماية حريتك. أما الخطأ الثاني : جعل منك، عاملا مستبدا.
وماذا فعلت، أيها الرجل التافه، بكنز المعرفة الذي نقله لك هذا الرجل العظيم؟ لم تعد تتذكر سوى كلمة واحدة: "مستبد"! من كل تراث روحه العظيمة وقلبه الكريم، لم تتذكر سوى كلمة واحدة: "مستبد". ألقيت بكل تفكيره ورؤاه في سلة المهملات ،أهملت الحرية، والوضوح، والحقيقة، والعقلانية ، والنزعة العلمية ، والفكر النقدي وحل معضلة العبودية الاقتصادية، رميت كل ذلك بعيدًا عنك! بسبب خطأ طفيف من رجل عظيم، بنيت نظامًا ضخمًا من الأكاذيب، والاضطهاد، والتعذيب، والسجون، والجلادين، والشرطة السرية، والتجسس، والإفشاء، والميداليات، والنياشين ،ألقيت الباقي المهم جانبا ، كنت تظن أنك ستخلق السعادة بتصرفك هذا ، لكن أنت لا تخلق السعادة الحقيقية أيها الرجل التافه!
هكذا أنت، أيها الرجل التافه.. أنت تسعى وراء وهم السعادة! أنت لم تعرف أبدا السعادة ، لأنك لا تدرك علاقتها بالحرية والمعرفة، يمنعك تعليمك التافه من معرفة كيف تحقق السعادة و كيف تحافظ عليها وتعتني بها كما يعتني البستاني بالأزهار، والفلاح بالأشجار.
ابتعد عنك الباحثون العظماء، والشعراء العظماء، والحكماء العظماء ، لأنهم أرادوا الحفاظ على سعادتهم. ، واجتمع حولك باحثون وشعراء وروائيون وحكماء تافهون ، ينتظرون أن توزع عليهم لايكات تافهة ترفع من نسبة نرجسيتهم ... لهذا

أقول لك مرة أخرى أيها الرجل التافه ، من السهل أن تبتلع سعادتك، ولكن من الصعب أن تخلقها وتحافظ عليها.
هل تدرك ماذا أعني، أيها الرجل التافه ؟ سأشرح لك: الباحث يعمل بجد، بلا كلل، لمدة عشر سنوات، عشرين سنة، ثلاثين سنة، منكبا على علمه وبحوثه ونظرياته وتحاليله وأفكاره ، يحمل بمفرده عبء تغييرك. يتألم بسبب سذاجتك، وأفكارك الضحلة، وتوجهاتك الغامضة، يسعى إلى أن يتغلب على كل زلاتك، ليستبدلها في النهاية بأفكار جديدة غير تافهة .
أنت ؟ أنت لا تقدم له أي مساعدة. على العكس تمامًا. أنت لا تقول: "أنا أرى، عزيزي المفكر المثقف المناضل، حجم عملك الشاق. أعلم أن عملك يهدف إلى تغيير حياتي نحو الأفضل، هل يمكنني مساعدتك لمساعدتي؟" طبعا لا تقول له هذا الكلام أيها الرجل التافه، ولا تتقدم لمساعدته ليقدم لك يد العون ، أنت لا تأتي أبدًا لنجدة منقذك. أنت تلعب ورقًا وتصرخ وأنت تتفرج على مباراة كرة قدم تافهة ، أو تؤدي هوايتك المملة ، الجلوس على المقهى تراقب الفراغ والذباب ، أو تحمل على هاتفك كل الأدعية لكل المناسبات ، أو تتبع تفاهات تلك الكائنات الغربية التي سمت نفسها " المؤثرون "
حينما تنتهي من مهمة متابعة " روتيني اليوم " تعيش الفراغ فتشك في كل شيء ، تشك حتى في مؤخرتك المهترئة وتحملها مسؤولية نقض وضوئك ، أنت لا تسعى أبدًا لدعم منقذك ، ولو بالإنصات إليه أو بمناقشة أفكاره ونقدها ، هل تعرف لماذا؟ أجيبك الآن ، أولاً لأن المفكر والمثقف العضوي يعرض عليك فكرا ومنهجا نقديا وطريق تنوير ومفهوم الحداثة والعقلانية

والديمقراطية والعلمانية . ما يعرضه عليك المثقف العضوي يقلقك ويتعبك لا ترى من ورائه ربحا ولا مكافآت. القلق الوجودي هو كل ما يقدمه لك ، أنا أعرف أنك لا تريد القلق، لديك الكثير منه ، أنت ترتاح كثيرا لتاجر الدين ومرتزقة الوعظ والإرشاد ، يقولون لك اكتب " الله أكبر ولك ألف حسنة " واكتب " اللهم صل على سيدنا محمد ألف مرة " ولك مئة ألف حسنة ، ويقولون لك " إذ أردت أن ترزق رزقا بسرعة البرق ردد هذا الدعاء اللهم سخر لي الأرزاق والفتوحات كل ساعة وهون علي كل صعب ويسر على كل عسير ،ابشر سيهطل عليك الرزق كالمطر بعد عشر دقائق"

بما أنك مجرد رجل تافه تنطلي عليك الحيل التافهة ، وتنظر إلى كل الدعاء والاستغفار بقيم الرأسمالية المتوحشة ، لو لم يعدوك بمئة ألف حسنة لما صليت على الرسول ، أكيد لن تصلي عليه ، أنت مجرد منافق ومخادع.

إذا تركت الباحث والمفكر والمثقف العضوي يجري أبحاثه ويعرض أفكاره بكل حرية ، ستقدم خدمة كبيرة إلى المجتمع وسيشعر بالارتياح وهو يمارس فعل التفكير ويؤدي وظائفه الحيوية الطبيعية التي تدفعه إلى التفكير. لكنك لا تتبنى موقف المحايد ؛ بل أنت تعتدي على المفكر لأن أفكاره تقلقك ، ويستمر اعتداؤك على المفكر حتى عندما يموت ، هل تريد أن أذكرك بالحملة التي تزعمتها أيها الراجل التافه ضد المفكرة نوال السعداوي وهي في قبرها ؟ اختلقت قصصا وسيناريوهات تافهة ، أنزلت من العرش الإله الذي تقدسه ، وجلست مكانه وأعلنت فتح فصول محاكمة المفكرة ، كما اخترعت صورة ثعبان أقرع

وبواسطة الفوطوشوب جعلته يمنع دفن المفكرة ، لقد جنيت أرباحا طائلة من هذا السيناريو السخيف الذي أنطلى على كل التافهين الذين تنتمي إليهم . هل تحتاج أيضا أن أذكرك بما صنعت بالباحث فرج فودة ، سلطت عليه رجلا تافها أميا وأمرته بقتله ، فاغتاله دون أن يقرأ ولو كلمة واجدة من كتاب " الحقيقة الغائبة " .

يجب أن تعرف أن تجار الدين الذين كانت تقلقهم أبحاث فرج فودة ، وتهدد تجارتهم ،جيشوا الرجل التافه الأمي ليغتال فرج فودة وأفكاره ،لأنها كانت تفتح أعين الذين يريدون أن يتحرروا من التفاهة ، سأصدمك بالحقيقة الغائبة لتعي حجم غبائك ، إليك أيها الرجل التافه لائحة بأسماء رجال الدين الذين حاصروا المفكر فرج فودة ، جلهم استدعتهم المحكمة للمساءلة في قضية الاغتيال البشعة : 1) عمر عبدالرحمن - قال المتهم الأول في القضية عبدالشافي أحمد في اعترافاته إنه قرر تنفيذ فتوى عمر عبد الرحمن بقتل فرج فودة، خاصة أن جبهة علماء الأزهر أباحت دمه أيضا، وأفتت بتكفيره .

2) صفوت عبد الغنى - افاد المتهم ايضا انه ابلغهم عن طريق محاميه برساله منه للبحث عن شخص مناسب من أعضاء الجماعة لقتل فرج فوده

3) الدكتور عبدالغفار عزيز - نشرت جريدة النور قبل الاغتيال بخمسه أيام بيانا لجبهه علماء الأزهر برئاسته يكفر فيه فرج فوده تكفيرا صريحا بدعوى انه مرتد ومن ثم يستوجب القتل

4) الدكتور محمود مزروعه – نائب رئيس جبهة علماء الأزهر حيث كان شريكا فى الفتوى ، وفي شهادته أمام المحكمة، قال

مزروعة (إن اتصالا جاءه من شباب يدعون انتماءهم لإحدى الجماعات الإسلامية، ويريدون استشارته في أمر عاجل، فحدد لهم موعدا، والتقاهم، فسألوه: "ما حكم المرتد" فأجاب: "قتله"، ثم سألوه: وإذا لم يقتله الحاكم؟، فأجاب قاطعا: يكون حكم قتله في رقاب عامة المسلمين)

5) محمد الغزالى –قال في برنامج تلفزيوني بعد المناظرة بأيام إن من يدعو للعلمانية مرتد يستوجب أن يطبق عليه حد الردة، ثم قال في ندوة بنادي هيئة التدريس بجامعة القاهرة قبل واقعة الاغتيال بأيام متحدثاً عن فرج فودة، "أنه يردد كلام أعداء الإسلام في الخارج، ربنا يهديه، وإن لم يهديه فليأخذه". وفى شهادته امام المحكمة دفاعا عن القاتل أنه لم يتورط في جريمة قتل، بل طبق حدود الله على المرتد (إن فرج فودة بما قاله وفعله كان في حكم المرتد، والمرتد مهدور الدم، وولي الأمر هو المسؤول عن تطبيق الحد، وإن لم يفعل يكون ذلك من واجب آحاد الناس)

بل انه كتب ونشر بياناً مسانداً لـمحمود المزروعة نائب رئيس جبهة علماء الأزهر، الذي دعا بشكل صريح إلى قتل فرج فودة، وقد وقّع على بيان الدعم والتأييد لقاتل فرج فودة، إلى جانب محمد الغزالي، كل من:

6) محمد متولي الشعراوي

7) الدكتور محمد عماره

تاريخنا القديم يعج بالاغتيالات السياسية والفكرية ، كما تاريخنا الحديث يعج بفتاوى التكفير وهدر دماء المفكرين . إننا نعيش وضعا شاذا تحاصر فيه حرية التفكير والتعبير ، في بداية

القرن العشرين تعرض سلامة موسى للتهميش والتكفير لأنه يحمل مشروعا تنويريا ، كما تعرض طه حسين لحملة تكفيرية أدت به إلى الوقوف أمام المحكمة ، سأصدمك مرة أخرى بتقريبك من محنة المفكر التنويري ناصر حامد أبو زيد ، لقد جيش رجال الدين ضده طلبة الجامعات ولم يتوقف الأمر عند حدود الجامعة ، بل وصل إلى الشارع عن طريق منابر المساجد، وانتهى في القضاء إذ أصدرت المحكمة حكما يقضي بتفريق نصر حامد أبو زيد عن زوجته الدكتورة ابتهال يونس بتهمة الكفر ، في سنة 1995 قرر المفكر المتنور أن يترك مصر ليتوجه إلى هولندا حيث تم تعيينه أستاذ كرسي في جامعة ليدن.

أيها الرجل التافه ! لقد فتحت المحاكم ونصبت المشانق لتحاكم وتشنق المفكر والباحث والمثقف العضوي لتخنق الأفكار التي تمس تفاهتك في العمق وتريد هدمها ، تهاجم المثقف وتنعته بـ "الخنزير القذر" وأنت لا تدرك أنك تحاول قمع "الخنزير" الموجود بداخلك ، وهذا هو سبب عدائك للفكر والبحث والثقافة الجادة المسؤولة التي تحمل قيم التنوير والحداثة . أنت لا تقيم أي اعتبار للأفكار الجديدة ، بالنسبة إليك ترى في كل فكر جديد تهديدا لسمعتك الوهمية الهشة ، وترى أن قفتك الفقيرة وسعيك السيزيفي اليومي لتوفير خبز مغموس في المهانة أكثر أهمية من الحقيقة والفكر والحرية. لهذا أنت تافه وبئيس وغير سعيد.

أيها الرجل التافه. هل تدرك لماذا تضيع منك السعادة؟ لأنك لا تسعى أصلا إليها ... لتحقيق السعادة، يجب أن تعمل، يجب أن

تستحقها ، أنت ! تفكر فقط في أن تبتلع سعادتك؛ ولهذا تضيع منك .. أنت تحترم أولئك الذين يحتقرونك، وتحتقر نفسك. هذا أنت ! كائن غير قادر على الإبداع. تعيش حياة رتيبة تقضي أيامك في قلق غير مبرر ، كلما تقدمت في السن ارتفعت مخاوفك من المجهول ، تشعر بالملل إلى حد الموت، تشعر أنك مكبلً داخل مؤسسة الزواج ، تجد أمامك أطفالا لا تعرف كيف ولماذا أنجبتهم ، كثير الشعور بالندم ، تعيش نوستالجيا مرضية ، تحن إلى الزمن الجميل ، وحين تصف لنا زمنك الجميل نصاب بالغثيان . أنت غير قادر على التطور، لا يمكنك صياغة فكرة جديدة، لم تقدم أبدًا شيئًا يذكر لنفسك وللمجتمع، تعودت أن تعيش حياتك يما تأخذه من الآخرين .

أنت لا تعرف لماذا حياتك تافهة، ولماذا لا تعيش بطريقة أخرى، أستطيع أن أخبرك بذلك ،استمع أيها الرجل التافه ! أنت تعرف فقط كيف تجمع وتأخذ لنفسك، ولا تعرف كيف تهب، لا تعرف كيف تعطي، لأن حياتك تقوم على موقف الامتناع والرفض والتذمر فقط ،لأنك تشعر بأنك مضطر لأن تشبع نفسك بالطعام والمال والسعادة الوهمية، لأنك تشعر بالفراغ والجوع والشقاء، بدون أن تخلق في نفسك رغبة توجهك نحو المعرفة والحقيقة ، أنت تهرب من الحقيقة، لأنك تخاف منها ، تخاف أن تخلق فيك فعل التفكير وحب التغيير. أنت ترغب فقط في أن تكون مستهلكًا حتى للطقوس الدينية ، والقيم الوطنية.

تعودت على التعبير عن وطنيتك داخل ملعب كرة القدم ، يرتفع سهمها حينما ينتصر فريقك الوطني ،وينخفض في حال الانهزام

قد تفصح عن عداء غبر مبرر حينما تتوالى الهزائم الكروية ، تنصب نفسك حارسا للثوابت والمقدسات رغم انك لا تعرف عنها شيئا ، تهاجم بشراسة كل من شكك فيها ، دون أن تقوم بواجباتك على أحسن وجه ، أنت أول الفارين من عملك تحت مبرر الواجب الديني يوم الجمعة ، وأنت آخر العائدين ، لا تفكر في طابور المواطنين المنتظرين أمام شباك مكتبك ، أنت تحتقرهم أكثر مما يحتقرك رؤساؤك.

لا تريد الاستماع ، تحتمي بالصراخ عندما يقدم لك شخص ما دليلًا على انسدادك النفسي وانغلاقك العقلي وتفاهة أفكارك . أنت لا تريد الاستماع ،حسنًا، أنت لا تريدني أن أشرح لك لماذا لا يمكن أن تكون سعيدًا؟ سأشرح لك رغم غضبك مني ، استمع أيها الرجل التافه ! أرى الخوف يتقاطر من عينيك ، و يبدو أن هذا السؤال يشغل بالك كثيرا لأنك تريد أن تكون سعيدا ولكن للأسف لا تستطيع. أنت تدعي أنك مناصر للتسامح الديني. تطالب بحرية ممارسة شعائرك الدينية ، ممتاز. ولكنك لا تقف عند هذا الحد ، ترغب أن يكون دينك هو الوحيد المقبول. أنت تتسامح مع دينك فقط، ولا تتسامح مع الآخرين. تغضب بجنون عندما ترى شخصا يعبد إله غير إلهك. تكفر وتهدر دم كل من اختار إلهه ودينه ، ترفض أن يعيش معك ، تكفر كل من أراد أن يترك إلهك ،تتهمه بالردة وتفتي بقتله .

أنت لا تعترف بالمساواة بين الرجل والمرأة وأهميتها في الحياة الثقافية والاجتماعية ، تشعر بالإهانة عندما تطلب منك زوجتك الطلاق بالتراضي، يوبخك وعيك الذكوري ،يؤلمك ويحدث فيك جرحا غائرا لا يندمل " كيف تسمح لأنثاك بأن ترميك مثلما

ترمى الخرقة البالية ! لست رجلا ! أنت من تملك الحق الإلهي ، هي مجرد أمة ، هي مجرد جسد !أنت من لك الحق أن يرمي بها خارج البيت وخارج الحياة ! " كم خرجت إلى الشارع تصرخ مع كل الكائنات الصارخة " لا لتغيير منظومة قوانين الأحوال الشخصية ! لا لحقوق المرأة ! لا للمساواة بين الرجل والمرأة ! " ذكرتني لاءاتك بمؤتمر الخرطوم 1967 المعروف باسم قمة اللاءات الثلاث أتعرف ماذا حدث في هذا المؤتمر ؟ سأخبرك بإيجاز: انعقدت القمة العربية الرابعة في العاصمة السودانية الخرطوم مباشرة بعد حرب يونيو1967 التي دارت بين إسرائيل والعرب ، تسمى حرب الستة أيام ، وهي أيام معدودات، كانت كافية لتدك إسرائيل كل الجيوش العربية وتحتل الضفة الغربية وقطاع غزة والجولان وسيناء، لذا عرفت باسم النكسة ، انتهى المؤتمر بالبيان الختامي الآتي: لا سلام مع إسرائيل، لا اعتراف بإسرائيل، لا مفاوضات مع إسرائيل ، بعد حوالي ستين سنة على المؤتمر العربي تسارع جل الأنظمة التي رفعت شعار " اللاءات الثلاث" إلى الاعتراف بالكيان الصهيوني والتقرب منه للاستفادة من دفء الحماية ، أنت تافه أيها الرجل حتى في معاركك ومواقفك !

لقد وضعت النكسة حدا لعنترياتك ، لم تعد تجد ساحات وغى تافهة تبرز فيها شجاعتك المزيفة ، استيقظت فيك نزعاتك القبلية وأردت أن تعيد إنتاج حروبا غابرة ، رفعت البنادق والمدافع لتخوض حرب بسوس جديدة وحرب داحس والغبراء ، ألا ترى أننا نخوض معارك مدمرة بيننا ؟ وأنت الذي لا تملك قرار إشعال فتيل الحرب ، انشغلت بخوض معارك ضد المرأة ، لا

زلت تحتقرها وتراها ناقصة عقل ولا تصلح لقيادتك ، لا يمكن أن تقبل بأن تقول لك :" كفى ! توقف عند هذا الحد ! لا أريد أن أعيش معك ! أريد حريتي ! اخترت الحياة على سجن وعيك الجمعي المتسخ ! " وأنت تسمع بيانها الختامي الحامل لقيم التحرر من سلطتك الموروثة ، ستشعر وكأنك أصبت بصعقة كهربائية ، ستصرخ ، تنعتها بأبشع النعوت ، تتهمها بالخيانة وإن كانت أم أولادك ، لا تستطيع أن تعترف بإنسانيتها وإرادتها وحربتها واختياراتها ، تريدها أن تعيش تحت ظلك وداخل معطفك ، تحجبها عن الحياة بشواربك وذكورتك. أي تغيير في مجال مدونة الأحوال الشخصية يخيفك ،لأنه يضعف تسلطك واستغلالك للمرأة ويكشف حقيقتك البشعة . أنت أيها الرجل التافه كائن شوفيني ، وشوفينيتك هي نتيجة لصلابة جسدك، وانسدادك النفسي، وتعاظم ثقتك في أناك لا أقول هذا لأستهزئ بك، بل لأنني صديقك. لا أبالي بعنفك حتى وإن قتلت أصدقاءك عندما أخبروك بحقيقتك. أعرف أنك تعيش تحت ضغط الاستبداد ، يمارسون عليك حاليا استبدادا لطيفا ، بحرمانك من المعرفة وتعطيل عقلك ، لهذا أقول لك :" لا تستطيع أن تفعل شيئًا ضد حقيقتي، أيها الرجل التافه!" كل ما تستطيع فعله هو أن لا تبالي بما أقول، أصبحت اللامبالاة مرضا مزمنا يعاني منه حتى أولئك الذين رفعوا لواء الثقافة حينما كانوا شبانا يافعين ، لقد رفعت سلاح اللامبالاة في وجه كل من ينزع عنك أقنعتك ، في الأمس القريب كنت تقتل كل من يخالفك الرأي لقد قتلت ناجي العلي ، فرج فودة ، لم يسلم من بطشك حتى الذين يوجدون في قبورهم مثل سلامة موسى وطه حسين

ونوال السعداوي وفاطمة المرنيسي ،و نصر حامد أبو زيد ، قاسم أمين ، ابن رشد ، الفارابي ، ابن سينا ، وأنت تقتل الأحياء بلامبالاتك وتكفيرك ، تقتل يوميا كل التنويريين والحداثيين والتقدميين.

يمكنك أن تقتل كل التنويريين ، لكن لا يمكن أن توقف النور ، وستجد نفسك قد نزلت إلى القاع المظلم وحدك ، تريد أن تخرج إلى الحياة من جديد ، وبما أنك انتهازي ستختار أن تتحول إلى كائن وطني ، أضواء الإعلام تبهرك أكثر من نور المعرفة.. لكنك تفضل أن تبقى وطنياً تافها صغيراً، لأنك تخشى الحب والقيم التي تدل عليه، وتخشى تحمل المسؤولية، وتخاف بشكل كبير من المعرفة. أنت غير قادر على أي جهد إبداعي شخصي. تسرق السعادة كلص يستغل ظلام الليل. لا يمكنك إلا أن تحسد الآخرين على سعادتهم ونجاحاتهم ! .

توقف أيها الرجل التافه عن إيذاء نفسك ! ستظل إلى الأبد، مهاجرًا ومغتربًا في وطنك. أتيت إلى هذا العالم بالصدفة، وستغادره دون سابق إعلام. خضت سباقا محموما مع كل الحيوانات المنوية دون أن نعرف كيف انتصرت أيها التافه في سباق الحياة ، ربما كنت تافها ومخادعا وانتهازيا وسلطويا وأنت مجرد حيوان منوي ,

ما تهتم به ليس هو الوطن كقيمة سامية ، أعرف اهتماماتك جيدا . أنت ترتجف خوفاً من أن تتعرى أمامنا وتكتشف حقيقتك ، كما خبرتها طيلة المدة التي عشتها بجانبك . قد تحاول أن تلقي علي اللوم وتتهمني بارتكاب جريمة زعزعة عقيدة مسلم. أنا أعرفك، ما تبحث عنه هو اختلاق "حالة" ترفعك إلى درجة

خدام الوطن والدين. في اليونان القديمة فكر مجموعة من التافهين في نفس ما تفكر فيه ، اتهموا سقراط بإفساد الشباب والسعي لاستبدال آلهة الإغريق بآلهة أخرى، كان يعرف سقراط أن اتهامات التافهين حركتها المصالح السياسية ، حكموا عليه بالإعدام ، كان بوسعه أن يهرب من سجنه لكنه رفض ، فضل أن يموت بفعل السم الذي شربه ، على أن يتخلى عن الحقيقة ، لهذا اعتبر سقراط أول شهيد للحقيقة ، لكن أنت لا تستفيد من دروس التاريخ: لقد قمت بإعدام سقراط ، ثم رفعت الكثير من الأصنام ووضعتها على قمة التاريخ، لهذا لم تخرج أبداً من الوحل. نعم، لقد قمت بقتل سقراط ، حركك أسيادك لتتهمه بالمس بالأخلاق العامة والإساءة إلى الآلهة. كنت تظن أنك بقتله قد أعدمت الحقيقة. أنت لازلت تقوم كل يوم بقتله للحفاظ على "النظام"، لكن طريقتك في القتل جبانة ومؤذية. لا تجرؤ أن تنظر في عيني من تتهمهم بالفساد والكفر. ربما أنت تعلم جيداً أين يوجد الفساد ، أنت تعيش مع فساد يتمتع بكل حقوق المواطنة ، لذا جعلت من لسانك سلاحا تشهره في وجه معارضيك وتدافع به عن الفاسدين وترفعهم إلى درجة القديسين. أنت تدمر حياتك الخاصة أيها الرجل التافه!

تتصرف كما عهدتك دائما: تحدد هدفا أو مجموعة أهداف ، غالبا ما تصوغها على شكل شعارات فضفاضة دون أية قراءة موضوعية للواقع ، تردد كثيرا مثل هذه الجمل : يجب أن نخرج من التخلف ، علينا أن نتقدم ، المدرسة العمومية فاشلة ،الفقر و الفساد متفاقمان ، علينا أن نعالج كل هذه العاهات ،

لكنك لا توضح لنا كيف ، في أقصى درجات تفكيرك التافه تختزل كل الحلول في شعار ترددده منذ أن سقطت الخلافة وغالبا ما تخرج إلى الشوارع لتصرخ بأعلى صوتك " الإسلام هو الحل!!! " لا جديد في هذا الشعار الذي تلوح به في كل الاتجاهات ، أي شخص وبغض النظر عن مستواه العلمي والمعرفي يردد هذا الشعار في المساجد وحلقات الوعظ والإرشاد وحفلات الزفاف والعقيقة والعزاء ، يرددده بمناسبة وبدونها ، تثق في شعارك وترى فيه عصا سحرية فاقت عصا موسى ، تردد شعارك وتترك الآخر يبحث عن سبل تحقيقه ، تريد أن تحقق التقدم دون أن تحدد طبيعة التقدم الذي تتخيله ، تريد أن تتجاوز التخلف دون أن تعالج مشاكل الفقر والجهل والأمية والفساد والعدالة الاجتماعية ومسألة الديمقراطية والحرية والحداثة والعلمانية والتنوير. لا تريد أن تفهم أن مسالة تجاوز التخلف ترتبط بكل هده القضايا لأن عقلك القاصر لا يستوعبها ، لهذا أنت وكل مشاكلك أيها الرجل التافه لن تخرج أبدا من قاع المستنقع.

أنت جبان وكسول. تريد أن تجني الثمار ، دون أن تبذل أدنى جهد كم من فرص التقدم أضعتها بوضع سراب كرامتك قبل واجبك ! كم أهدرت من وقت وأنت تتجاهل جهلك وفقرك الوجداني والمعرفي ! كم من وقت أهدرت وأنت تهرب من الواقع وتخفي عجزك وراء اللامبالاة ! كم من وقت أهدرت وأنت تخترع وتجمع الأدعية لتحل بها مشاكلك ومشاكل عشيرتك ! هل هذا ما تقصد بشعارك " الإسلام هو الحل " أنت تفضل الأمن على الحقيقة. عندما يحدثك شخص عن مفهوم

الحرية والوعي والفكر والعلمانية والحداثة والتنوير ، لا تسأل: "ما هو أثر هذه المفاهيم عليك وعلى الآخرين ؟ لا تتساءل : "كيف يمكن لك أن تفهم هذه المفاهيم ؟"
سأحدثك أولا عن معاناتك من عقدة الحرية. لقد حاربت الحرية وقمت بتشريدها ، فعشت كل حياتك تائها مشردا ومقيدا بقيود اخترتها أنت ، لقد قمت بشل حركتك الجسدية العاطفية والفكرية ،لم يطلب منك أحد أيها الرجل التافه أن تشرد الحرية وتبيعها في سوق النخاسة لأي سيد جديد ، حينما اشتغلت مدرسا بعت حريتك براتب شهري بئيس وتخليت عن دورك التربوي والمعرفي ، بررت فشلك وتفريطك في الحرية بأنك مجرد موظف عند الدولة عليه أن يلتزم بالتعليمات وتطبيق المذكرات الوزارية حرفيا ، طبقتها بحذافيرها وكأنها نصوص منزلة من السماء ، لم تمنح لنفسك هامشا صغير من الحرية تتحول فيه إلى مربي وموجه للوعي ، اكتفيت بترديد ما يملى عليك دون أن تدرك أن ما تقوم به عمق فيك التفاهة والانكماش والعزلة ، النتيجة أنك كرهت عملك ،و لم تنتج إنسانا يؤمن بالحرية والعقل ، أنتجت أجيالا من الضباع تكرههم ويكرهونك .

عندما اشتغلت في الصحافة قايضت حريتك بالامتيازات وتحولت إلى مجرد مرتزق ، تتمسح على أعتاب السلطة وتبحث في الأرض عن فتاة الموائد ، تحولت إلى جلاد احترف صنع المشانق ، تهتم بمصالحك الخاصة خلف معطف الدفاع عن المقدسات والثوابت التي لا تعرف عنها أي شيء ، لا تعرف كيف ومن أين أتت .

صراخك الدائم لن يحقق لك أي شيء، أيها الرجل التافه ! . لقد ظللت تعتقد أن حريتك مضمونة ،ولكن من الأفضل أن تنظر إلى نفسك في المرآة ولو مرة واحدة لعلك ترى القيود التي تكبلك وتشل عقلك.

لا تنزعج من كلامي ! أريد فقط أن أشرح لك لماذا أنت غير قادر على الظفر بحريتك والحفاظ عليها. يجب أن يثير كلامي فضولك واهتمامك، هذا ما أعتقده !

"هل تعلم أيها الرجل التافه بماذا يشعر نسرٌ حضن بيض دجاج؟ في البداية لا يهتم كثيرا، لأنه يكون واثقا بأن البيض ستخرج منه صغار نسور ، حينما يفقس البيض ، يقوم النسر بمهمته الطبيعية ،سيربيهم تربية النسور ليجعل منهم نسورًا جارحة تحلق فوق القمم الشاهقة ، لكن سرعان ما يتضح له أن الصغار الذين حلم يوما أن يراهم نسورا هم في الواقع فراخ دجاج.

يصاب النسر بالحزن ولكنه يتغلب على حزنه و يتشبث بحلمه ، يريد أن يتحدى كل نواميس الطبيعة ، يريد أن يجعل من صغاره نسورا. لكنه لا يرى حوله سوى دجاج، تتعاظم رغبته في افتراسه والتهامه ، ولكن ما يمنعه من افتراسهم ؟ يمنعه أمل هزيل أن يكون بين فراخ الدجاج نسرً صغير ، يمكن أن يكبر ويصبح نسرًا جارحا مثله، يحلق في السماء ليستكشف عوالمً شاهقة وأشكال حياة جديدة. هذا الأمل الهزيل هو ما يمنع النسر الحزين والمنعزل من أكل الفراخ والدجاج التي لا يدرك أن نسرًا يسهر على تربيته، يصع عشه على صخرة حادة بإحدى قمم الجبال فوق الوديان التي يكسوها الضباب وتخيم عليها الظلمة.

لم تعد فراخ الدجاج تهتم بالنسر ، تأكل بشراهة ما يضع على العش من طعام. تحتمي تحت أجنحته من العواصف التي يتحداها بإصرار كبير. عندما يكون الإعصار قويًا جدًا تهرب فراخ الدجاج إلى أعماق القمة بين الصخور ، لا تثق في أجنحة النسر وتقذفه بالحجارة لعله يسقط إلى السفح. حينما يرى النسر هذا الشرّ يريد قتل كل فراخ الدجاج ، لكنه بعد تأمل و تفكير يشفق عليها. لا يفقد الأمل في أن يكون بين الفراخ الصغيرة الجشعة والشريرة الضعيفة نسرًا صغيرًا قادرًا على أن يصبح نسرًا كبيرًا مثله....لم يفقد النسر الوحيد هذا الأمل أبدًا. استمر يحضن الفراخ الصغيرة يطعمها ويدفئها بأجنحته الكبيرة .

أنت ترفض أن تكون نسرًا أيها الرجل التافه، لهذا ستظل فريسة للجوارح. تخاف من تحليق النسور، تفضل القطيع أين تخفي خوفك وعجزك ، في الحقيقة أنت تلغي وجودك حينما تذوب وسط القطيع ، تحتاج دوما من يقودك إلى بر الأمان، لهذا أنت ومن يشبهونك في التفاهة ستموتون كلكم ميتة الذل والهوان ، ستظل أنت ومن يشبهونك في التفاهة تخافون من النسور.

أيها الرجل التافه لقد بنيتَ كل شيء على الرمال: منزلك، وحياتك، وثقافتك، وحضارتك، وعلمك، وتقنيتك، وحتى حبك وتربية أولادك. أنت لا تعلم ذلك، ولا تريد أن تعلم، على استعداد لتقتل الإنسان الكبير الذي يخبرك بالحقيقة. ثم، وأنت تشعر بالضغط والبؤس، تطرح دائمًا نفس الأسئلة: "طفلي عنيد، يكسر كل شيء، يعاني من كوابيس، يفتقر للتركيز في المدرسة، يعاني من الإمساك، هو شاحب، هو قاس. ماذا يجب علي فعله؟ ساعدوني!" أو: "زوجتي باردة، لا تعطيني الحب.

تعذبني، تصاب بنوبات هستيرية، ماذا يجب علي فعله!" أو: "أنا مقبل على الزواج ، محتار بين المرأة التي اختارتها أمي لي ، والمرأة التي أرسمها في مخيلتي. ماذا هو القرار الصائب في نظركم ؟" أو :" هل اختار الزواج من موظفة أم ربة بيت ، مادا أفعل " أو:" أريد أن استفيد من قرض بنكي لاقتناء شقة ، وأنا متردد أخاف أن أدخل في حرب مع الله إن قبلت قرضا ربويا ماذا أفعل ؟" أو :" وأنا أصلي خرج مني ريح ماذا أفعل ؟" ... كل أسئلتك تافهة !!! أسئلتك تتكرر ، تستنسخها جاهزة لا تغير شيئا في لغتها وصياغتها ، تطرحها بنفس الهواجس التي أرقت الإنسان الصغير التافه عبر قرون: "ماذا يجب علي فعله؟ ماذا يجب علي فعله؟" إنه منتهى إنجازاتك التافهة التي تضع الأمان قبل المعرفة والحقيقة.

كل المثقفين العضويين لم يتوقفوا عن توجيهك نحو ما يجب فعله للتخلص من تفاهتك، لكنك قمت بتشويه أفكارهم وتدميرها. لقد حاربتهم بشراسة وتحالفت ضدهم مع أعداء الفكر والثقافة رغم أن أفكارهم خاطئة إلا أنك اعتبرتها قواعد ثابتة للحياة. وهكذا قمت بإيذاء الديمقراطية ونظرية سيادة الشعب، والمساواة والعلمانية والحداثة والتنوير ونظرية التطور .. لقد بنيت كل حياتك على الرمال، وتتصرف بكل هذه التفاهة ، لأنك غير قادر على الإحساس بالحياة في داخلك، لأنك تقتل الحب في كل طفل قبل أن يولد لأنك ترفض كل تجليات الحياة ،وتمنع الحركة الطبيعية للحرية.

ليس لديك الشجاعة للتفكير أيها الرجل التافه، لأنك تخاف من كل فكرة ترتبط بوجودك ، وأنت تخاف من أن تشعر بوجودك.

، عليك أن تعود إلى جذورك، وتستمع إلى الصوت الذي في أعماقك، اتبع إحساسك الحقيقي، أحب الحب! أنا أشك في أنك ستعود إلى ذاتك وأنت ترفع التفاهة لتتساوى مع كل مقدساتك وثوابتك ، لقد جعلت من التفاهة منقذك من جحيم الواقع ، رفعت منتجي التفاهة إلى مستوى الأنبياء وسميتهم " المؤثرون " يا لك من تافه غبي! لم تعد قادرًا على استشعار وجودك الخاص ، إنه يتلاشى في كون متمدد من التفاهة!!!!

في لحظة تاريخية وجدت نفسك أمام خيارين : أن تصعد إلى القمة لتصبح "الإنسان الفائق" كما قال نيتشه، أو أن تهبط إلى السفح لتصبح "الإنسان الدوني". اخترت أن تكون "الإنسان الدوني" اخترت ما أراده لك تجار الدين وأهل السياسة. كنت أمام اختيار المؤسسات الديمقراطية الحقيقية أو سلطة المستبدين، فاخترت سلطة المستبدين. كنت أمام اختيار تفسير ابن رشد للحياة وتفسير ابن تيمية الظلامي، فاخترت ابن تيمية وانتصرت لكل المعادين للعقل .كنت أمام اختيار الحداثة أو التقليد ، فاخترت التقليد لأنه لا يكلفك أي جهد عقلي . كنت أمام اختيار نظرية ماركس أو فكرة الدولة فاخترت فكرة الدولة.... كنت أمام اختيار الماضوية أو حقيقة غاليلي، فاخترت الماضوية. لقد أذللت وأهنت جاليلي العظيم ثم عذبته حتى الموت ، ولم يؤنبك ضميرك حينما هرولت للاستفادة من اختراعاته..... كنت أمام اختيار التعامل بمهنية وإنسانية مع الأمراض النفسية وبين الشعوذة. اخترت العلاج بالشعوذة لكي لا ترى مدى بؤسك الوجودي والعاطفي.
كنت أمام اختيار تاريخك المزيف وقراءته على ضوء الفكر النقدي فاخترت تاريخك المزيف ورفضت نور الفكر ، منقذك

الحقيقي من تفاهتك المقدسة هو نور الفكر! ما زلت تسخر من مفاهيم لا تعرف معناها ، تسخر من الحداثة والتنوير باجترار نفس الخطابات التي يحشوك بها تجار الدين ،وتكتفي بالصمت إزاء هجومهم على الحرية والمرأة.
أنت تغوص في أعماق التخلف وتدخل معارك خاسرة ضد من يخالفونك الاعتقاد ، شغلك الشاغل أن تثبت للآخر وجود الإله الذي تؤمن به وأنت تعرف أن الإيمان قناعة شخصية ، شغلك الشاغل أن تقنع نفسك بأنك تنتمي إلى " أحسن أمة أخرجت للناس" ، شغلك الشاغل أن تقنع الآخر بأن دينك هو الصحيح ، لكنك لا تريد أن تعترف بتفاهاتك!! إنك تكشف عن بؤس الإنسان غير الموجود فيك. تقول لي :"لماذا تضخم الأمور؟ لماذا تتعامل مع كل الأمور بهذا الشكل التراجيدي؟
هل تشعر بأنك مسؤول عن تحول التفاهة إلى أسلوب عيش في مجتمعنا ؟ " في الواقع أنت تدين نفسك بهذه التساؤلات التي تطرحها علي، لأنك لو تحملت ذرة من المسؤولية التي تقع على عاتقك لما انهار مجتمعنا ، ولما اغتيل الكثير من الفلاسفة والمفكرين بسبب تصرفاتك الدنيئة. أنت تتهرب من مسؤوليتك، بنيت منزلك على الرمال. انهار عليك سقف بيتك ، لكنك تصر على الدفاع عن "شرف بيتك " لمجرد أن امرأة اختارت أن تجلس على شاطئ البحر بلباس البحر، صرخت :" انهار سقف بيتي بسبب تبرج هذه المرأة ! المرأة عورة ! جسدها يثير الفتنة ! " أيها الرجل التافه لا يرعبك إلا الجسد ، لأن غرائزك الجنسية تستعبدك وترهقك ، تغض الطرف عن الفقر والجهل والأمية والاستغلال واستعباد القوي للضعيف لا تريد أن تعترف

بأن كل مظاهر تخلفك هي التي تهدد " شرف بيتك " تنصب نفسك الممثل الوحيد لجبهة الدفاع عن "شرف الوطن" ترتفع وطنيتك داخل رقعة ملعب كرة القدم وحينما تخرج من الملعب مثخنا بهرمونات السعادة الوهمية ، لا تهتم بالفقر والبؤس الذي يصادفك وأنت تركب حافلة مهترئة تنقلك إلى بيتك الموضوع على ربوة عالية بحي هامشي أين تعيش مأساتك السيزيفية التي تحرص على أن تنقلها إلى أطفالك . سعادتك الوهمية ترهقك ، تقترب مني وتسألني : " ماذا يجب أن أفعل ؟"

عليك أن تبني منزلك على صخرة وليس على الرمال. الصخرة هي طبيعتك الخاصة التي قتلتها ، عليك ألا تخاف من الحرية ،امنحها لنفسك واترك الآخرين يمارسونها ، ثق في قدرة عقلك ، استخدمه في رسم معالم طريقك ، آمن بالفكر واقبل على المعرفة ، آمن بقيمة الحب ، أحب أطفالك وزوجتك ، تشبث بالحلم وارسم به سعادتك وسعادة أطفالك وزوجتك ، لا تترك الحزن يغلف قسمات وجهك ، لا تهتم بشؤون وحياة جارك استمع إلى الصوت الذي بداخلك. بدلاً من حضور إعدام جلاديك ، طالب وانتصر بقانون لحماية حياة الإنسان وممتلكاته وكرامته وحريته وحقه في العلم والمعرفة وحقه في استخدام عقله . سيكون هذا القانون أساس الصخرة التي يمكن أن تبني عليها منزلك . تخلى عن استغلالك للآخرين .إذا كنت محظوظًا بحصولك على عمل ، ارمِ ثوب الاحتفال بانتصاراتك المهنية وعانق زوجتك دون الحاجة إلى تصريح. دع طفلك ينمو مع الحب والطبيعة، لا تحاول أن تكون أفضل من الطبيعة. بل حاول فهمها وحمايتها. اذهب إلى المكتبة بدلاً من ملعب كرة

القدم أو المقهى ، اذهب إلى السينما بدلا من حلقات الزوايا ، اذهب إلى المسرح بدلا من مدارس الوعظ والإرشاد الديني ، اذهب إلى الحدائق والمنتزهات ،احمل معك كتابا تسافر به في عالم الفكر والمعرفة ، بدلا من قضاء كل أوقاتك بالمساجد تستعجل موتك ،مارس معتقدك بدون بهرجة وصراخ ، لا أحد يمنعك من أداء طقوس عبادتك ،ولكن لا تجعل منها مظهرا اجتماعيا ، عش حياتك ما دمت حيا ، فكر بطريقة صحيحة، استمع إلى صوتك الداخلي ،هو ما يرشدك بلطف. أنت سيد حياتك. لا تثق بتجار الدين والسياسة . كن أنت ! ولا تكن رجلا تافها على الدوام .

هناك أمر لا تريد أن تعرفه، ولن ترغب في معرفته سأتكلم عنه الآن ، استمع أيها الرجل التافه الصغير : أنت الصانع الحقيقي لبؤسك، إنك تنتجه يوميًا على مدار الساعة، ولكنك تهرب من هذه الحقيقة ، بل تحاول أن تخفي بؤسك واستسلامك وراء أقنعة تخترعها أو تقلد بها أسيادك ، قد تسارع لاقتناء كلب يعرف نفسيتك المهزوزة ، يقبل أن يتبعك كما تتبع أنت أسيادك ، تشعر مرة أخرى بسعادة وهمية لأنك أصبحت سيدا لكلب ما .

أنت مقتنع أشد الاقتناع بمقولة " الغاية تبرر الوسيلة " لا تهمك الوسيلة ، قد تختار أقذر الوسائل من أجل تحقيق غايتك ، منتهى غايتك أن تجمع أكبر قدر من المال ، بالمال تظن أنك ستخرج من دائرة التافهين ، مقابل دولارات حولت غرفة نومك إلى شاشة كبيرة تعرض على مواقع التواصل الاجتماعي ،حملت كاميرا وصورت حياتك الحميمية وعرضتها على المنبوذين والمرضى ، استطعت أن تصرف جمهورا عريضا

من متابعي الريال والبارصا ليتابعوا مؤخرة زوجتك . أنت مخطئ: الغاية لها مفهوم عميق أيها الرجل التافه ، فهي تدل على مجموع خطواتك التي ستؤسس حياتك غدًا. لا يمكن تحقيق أي هدف عظيم بوسائل قذرة، هذا ما ثبت في جميع الثورات الاجتماعية. إذا اخترت طريقا قذرة تريد أن تسلكها للوصول إلى هدفك ، لامحالة ستكون أنت أيضا قذرا ، قد تراكم المال والثروة ، ولكن تأكد أنك ستظل تافها مهمشا ومنبوذا.

ستعترض على كلامي وتصرخ في وجهي : "لكن كيف يمكنني الوصول إلى هدفي في الحياة؟ كل البشر يجرون وراء المال! " لا نختلف حول أهمية المال في الحياة ، ولكننا نختلف في الوسيلة ، أنا أرفض كل وسيلة قذرة تحقق لنا الثروة ، أرفض أن أصور مؤخرة زوجتي لأعرضها للبيع ، أرفض أن أبيع لحم الحمار مكان لحم البقر ، أرفض أن استرزق ببيع دروسي التافهة لتلاميذ يعيشون قلقا قاتلا ، أرفض أن أبيع التفاهة بعد أن أغلفها بغلاف الدين ، لهذا أقول لك إن تخلصك من تفاهتك وانتهازيتك متوقف على ما تفعله وتفكر فيه على مدار ساعات اليوم ، وعلى طبيعة علاقتك بعملك وفهمك للمسؤولية ، ومتوقف أكثر على حرصك على عدم قمع ذاتك وأحلامك ،لكنك ، أيها الرجل التافه ، تسيء فهم و استخدام الحرية لأنك تلغيها بدلاً من أن تجعلها جوهر حياتك.

لن تتغير إلى أن يشع من ذاتك أول شعاع العقل والفكر ، حينها ستشرع في البحث عن إنسان يحيا من الحب والعمل والمعرفة، وستبدأ في فهمه واحترامه ، وأخيرًا ستدرك أن المكتبة أهم بالنسبة لحياتك وأطفالك وزوجتك من مباراة كرة القدم،

والتجول في الغابة للتفكير بدلاً من المقهى وإدمان دروس الوعظ والإرشاد.
رغم ميولك الأدبي ، أنت لا تحب حرية التعبير ولا تؤمن بالموهبة إذا ظهرت في غيرك ، ولأنك سجين نزعتك القبلية الشوفينية ، اخترعت اختراعا غريبا سميته "المقاهي الأدبية" ، لتصنع كتابا تافهين ينتمون إلى قبيلتك أو يناصرون معتقداتك ، توزع عليهم شواهد تافهة من ورق ، خرجت من مقاهيك الأدبية آلاف الشعراء وكتاب الرواية والقصة القصيرة التافهين.. بتفاهتك دمرت حرية الفكر والإبداع ، كما دمرت حريتك الفردية ... لقد أختلط عليك الأمر فيما يخص مفهوم الحرية ، لم تعد تميز بين حرية التعبير والرأي والنقد وإصدار أحكام غير مسؤولة ، أنت تهوى أن تنتقد الآخرين ولكنك لا تقبل أن ينتقدوك.. تريد دائمًا الهجوم دون تعريض نفسك لهجمات الآخرين.... لقد دمرت حريتك بنفسك.
عندما تشعر بكل أقنعتك قد تهاوت ، تبحث عن أقنعة أخرى لإخفاء حقيقتك ، كعادتك تلفق الاتهامات ، ثم تصرخ ليسمعك الآخرون : "استمعوا إلى ما يقول! ها هو يشوّه وطنيتي وعظمة الأمة وقداسة المعتقد !"
لا تستفز، أيها الرجل التافه! هناك نوعان من الضجيج: ضجيج العاصفة على قمم الجبال، وضجيج رائحتك. أنت لا تفوح منك سوى رائحتك العفنة .أنت تعاني من اضطرابات نفسية خطيرة ، تريد أن يعرضك الطبيب النفسي لصعقات كهربائية، ويضربوك بالسوط تمامًا كما كانوا يفعلون في العصور الوسطى ، ويقيدوك بالسلاسل الحديدية داخل ضريح من

الأضرحة أو بفناء زاوية من الزوايا ، لقد باركت صرف الرواتب لشيوخ الزوايا وأضرحة الموتى الذين صنفتهم في خانة " أولياء الله الصالحين " ، بسبب غبائك قد تشتري قنينة ماء بآلاف الدراهم ، لأن شيخ الزاوية بزق فيها ، أو توضأ بشيء من مائها ، مؤخرا تم القبض على رجل بمدينة مغربية مهمشة يبيع ماء زمزم ، لقت تجارته رواجا كبيرا ، كان يقبل عليه التافهون من الوطن ومن خارجه ، كان يصدر الماء المقدس من مدينته الصغيرة إلى مسلمي أوروبا ، راكم ثروة هائلة ، كان يأخذ بمقولة "الغاية تبرر الوسيلة" ، المقولة التي يستغلها كل التافهين للنصب على تافهين آخرين .

اخرس، أيها الرجل التافه . حياتك مأساوية للغاية. لدي نية في إنقاذك، لكنني أعرف أنك ستغتنم فرصة اقترابي منك لتخرج الجلاد الموجود بداخلك ، ستحمل حبلا بين يديك وتستعد لشنقي ، أنت لا تحب كلامي وتكرهني نتيجة صراحتي ، ولكن لا يمكنك أن تشنقني، دون أن تشنق نفسك بنفسك. أنا حياتك، وإحساسك بالعالم وإنسانيتك وحبك وفرحك. لا ! لا يمكنك أن تقتلني، أيها الرجل التافه! في الماضي كنتُ أخشاك ، لم أعد أخشاك الآن ، لأنك تتوق إلى أن تتغير ولكن يبدو لك الأمر جد صعب ،لأنك تخشى الفراغ حينما ستتخلى عن ثقافتك التافهة ، بماذا ستملأ فراغك ؟ الأمر جد صعب، تعودت كل صباح أن تقرأ الأدعية التي وصلتك مع الفجر ، تعودت أن ترسلها إلى مئات التافهين المنتظرين الذين يعيشون مثلك خوفا رهيبا من الأوهام التي يتناقلونها بدون انقطاع أو ملل . أريدك أن تنتصر على خوفك من نفسك. أريدك أن تعيش حياة حرة وسعيدة.

أريدك أن تحيي جسدك بعد جموده ، أريدك أن تحب أطفالك بدلاً من أن تكرههم، أريدك أن ترتبط بامرأة سعيدة بدلاً من امرأة تكتفي بلعب دور الضحية المعذبة ، لا وجود لها في الحياة ،تعتبر نفسها مجرد ظل للرجل ، مستعدة للسجود له لتكسب مرضاة الله ، تخاف أن تبيت الملائكة تلعنها إن هي لم تستجب للرجل ، تخاف من الزوج والله والجن والشياطين والسحر والمستقبل ، تتخلى عن الحياة بعد الأربعين ، لم تهتم أبدا بأنوثتها وجمالها ، فضلت أن تعيش مختبئة وراء ألبسة ليست كالألبسة تفوح منها رائحة اليأس والقلق والبؤس ،لتخفف من وطأة المعاناة النفسية صنعت إله بمواصفات بوديغارد تؤدي فاتورة أتعابه بكثرة التعبد والدعاء والصوم والبكاء ، كل ما تعيشه المرأة من تخلف ناتج عن تعطيلها الكامل للعقل والفكر وإقصائها لوجودها واقتناعها بأنها ناقصة ولا شيء وأن الرجل سيدها ومعيلها والضامن لأمنها...لن تنقذكما الشرائع التي هي على وشك الانتهاء "نعم، أنا أدمر أفكاركما التي تجعلكما تفقدان الحياة والعقل أنتما معا تافهان وصغيران !! .

تريد أن ترى أيها الرجل التافه "الأمل الكبير الأبدي" الخاص بك في المرآة، حيث لا يمكنك الاستيلاء عليه. ولكن يجب أن تصل إلى الحقيقة بجرأة إذا أردت أن لا تكون تافها."

أنت لا تفهم أيها الرجل التافه. لم تستطع أبدًا تحقيق حلمك في تولي مهمة تلون حياتك بألوان الإثارة . انتقدت المفكر والمثقف العضوي لأنهما يتوفران في مكتبتيهما كلى كتب لينين وتروتسكي وفرج فودة وجلال العظم وأدونيس وهالة وردي ونوال السعداوي وعبد الرحمن منيف وجبرا إبراهيم جبرا

وغسان كنفاني ومحمود درويش وطه حسين وسلامة موسى وابن رشد والفارابي وجلال الدين الرومي وهمنغواي وفولتير وديكارت وفوكو وسيرفانتس وابن المقفع والجاحظ وتأبط شرا ومحمد شكري والماغوط والسيد القمني.....أنت لا تعرف ، أيها الرجل التافه، ما الذي تعنيه مكتبة. شرحت لك أن في مكتبتي يوجد كتاب "كفاحي" لهتلر، وكتب أخرى عن بوذا وكريشنا وزرادشت ، في مكتبتي يوجد القرآن إلى جانب مسرحية في انتظار غودو لصمويل بيكيت وأشعار جوته، تاريخ نابليون، وروايات توستوي والخبز الحافي لمحمد شكري ومجموعات قصصية لمحمد زفزاف والبخلاء للجاحظ ونقد الفكر الديني لجلال العظم.... قلت لك سابقا : لتعرف بشكل جيد الوباء الفكري والعاطفي، يجب دراسته من جميع جوانبه ومادام أن هذا الوباء لم يصبك لن تستطيع أبدا أن تفهم هموم الشعب.

أنت لست الشعب ،أنت تحتقر الشعب، لأنك لا تعرفه ، تتعالى عليه ، لم تنخرط أبدا في صياغة أحلامه وانتظاراته والدفاع عن حقوقه ، تهمك مسيرتك المهنية فقط وانتصاراتك وطموحاتك البرجوازية التافهة ،قال لك الكثيرون ذلك، ولكن بالطبع لم تقرأ لهم أبدًا. أنا أحترم الشعب، أريد أن يعرف الحقيقة ، لهذا أنا أرفض أن أجلس معك على نفس الطاولة. لأنك لا تحب الشعب وانت مدافع سيء عن "إعلان حقوق المواطن". أنا لا أحرض الشعب ضدك . أنا أحاول أن ألهمك قليلاً من احترام الذات، وقليلاً من الإنسانية. لأنك تريد أن تحقق مسيرتك المهنية، وتكسب أصواتًا، وتُعيّن نفسك قاضيًا في المحكمة العليا

أو زعيمًا لجميع المنبوذين الذين يشكلون كتلتك الناخبة . عدالتك وتفكيرك كزعيم هما حبل مشنقة ملتف بإحكام حول أعناق الكادحين .

سأودعك أيها الرجل التافه، ليس لدي نية أن أستمر في خدمتك. أنت غير قادر على متابعتي في المناطق البعيدة التي أذهب إليها. ستموت من الخوف لو كان لديك فقط فكرة ضبابية عما ينتظرك. مناطق وحدتي البعيدة جزء من مستقبلك. ولكن في الوقت الحالي، لا أريدك كرفيق سفر. أنت لا شيء، أيها الرجل التافه، لا شيء على الإطلاق! ليس أنت من بنى هذه الحضارة .أنت لست حرًا، أيها الرجل التافه، ولا تعرف ما هي الحرية ولن تعيش أبدا تحت نظام الحرية. من جعل الطاعون يصل إلى مسؤولية السلطة؟ أنت، أيها الرجل التافه الناخب! ...أنت مجرد رجل متمسكن ليس لديك شيء تقوله، ليس لديك رأي. من أنت لتتدخل في السياسة؟ هذا ما تتساءل عنه. لقد سمعت هذه الجملة كثيرً ، لم أعد أبالي بها ا! ولكنني مع ذلك أسألك سؤالًا: لماذا لا تؤدي واجبك بصمت ؟ أنت لا تفتح أذنيك أبدًا لاستقبال الحقيقة ، أنت تطمئن فقط للضجيج وعندما يبلغ مداه تستخدم حنجرتك للصراخ ، أنت جبان وقاس، ليس لديك مفهوم عن الواجب ، والإنسانية. أنت تقلد الحكيم بشكل سيء واللص بشكل جيد. أفلامك، وبرامجك الإذاعية، وقصصك المصورة تحكي فقط عن أحداث الجرائم. حكايتك اليومية هي أيضا مجرد أخبار عن الجرائم ..قد تجلس أمام اليوتوب لساعات طويلة تستمع لرجل تافه يختلق قصص وحكايات الجرائم لتنام وأنت تعانق كوابيسك المزعجة .

اعلم أيها الرجل التافه أن موقفك الأول دائمًا هو الرفض عندما تسمع حقيقةً لا تحبها. تعتبر نفسك "الإنسان العادي" الذي لا يتحمل أية مسؤولية ولا يمكن أن يكون له رأي شخصي في ما يحدث. ومن أنت ليكون لك رأيً شخصي؟ أعرف أنك تحتقر نفشك ، ليس من الضروري أن تعيد ذلك علي. على أي حال، لا يهتم بمصيرك أحدً. ولكن عندما أفكر في كل الأطفال الذين تعذبهم لتحولهم إلى "أشخاص عاديين" على شاكلتك، تغمرني رغبةٌ للعودة إليك لمنعك من اقتراف هذه الجريمة. لكنك اتخذت احتياطاتك أنشأت "وزارة للتربية" كما بنيت المدارس لتقوم بمهمة صنع أفراد عاديين وتافهين مثلك ..كعادتك تحتمي بالصراخ :"أنت تدنس شرفي وتبخس مهمّتي!"

أنا لا أقوم بتدنيس شرفك ولا أبخس مهمتك ، أنا أضعك أمام حقيقتك أيها الرجل التافه. بل سأكون سعيدًا جدًّا إذا استطعت أن تثبت لي العكس، إذا أثبتت لي أنك تملك شيئا من الشجاعة لتواجه نفسك بجرأة وصدق. عليك أن تقدم الأدلة لتبرهن على صدقك تمامًا كما يفعل البنّاء عند بناء منزل ، عليه أن يبني منزلا قابلًا للسكن. ليس للبناء الحق في اتهامي بإهانة شرفه إذا انتقدته إذا لم يقدم لي منتوج عمله ، وأضاع كل جهده ووقته في التحدث عن "مهمّته كبناء". أنت أيضا عليك أن تثبت لي أنك تقوم ببناء ذاتك ومستقبلك. لا جدوى من الاختباء خلف شعارات "شرف الأمة" و "الوطنية " و " خيانة الوطن ". لقد أسقطت كل أقنعتك ،أيها الرجل التافه المقنع !

رفعت عنك أقنعتك لتنظر إلى ذاتك ،لأنني قررت ألا أتخلى عنك ، أنا أختلف عن الذين اختاروك ليستغلوا تفاهتك ويبنوا

عليها مجدهم وثرواتهم، اليوم هم أسيادك يتحكمون في مصيرك ، وغدًا ستجدهم قد تحولوا إلى كتاب يحررون أوراقا تافهة ، يغيرون آراءهم كما يغيرون قمصانهم. لا زلت قلقًا على مستقبلك. لكنك تبدو غير قادر على احترام من حولك، وهذا ما يخيفني ويحزنني ، سترضع أحفادك حليب العداء ، سيعادونني هم أيضا ، لم تتحمل مسؤولية تربيتهم على احترام الذات والآخر ليصنعوا تاريخهم ، تهربت من مسؤولياتك، وانزوت في ركن من أركان المقهى تداري انتظارك للموت بلعب الورق، أو بحديث تافه في السياسة والربيع العربي ، كم من ثورة شاركت فيها داخل فنجان قهوة سوداء شديد المرارة كالحياة التي تحياها .انتظارك العبثي للفراغ يدفعك لإزعاج زوجتك وإفساد أطفالك ، تقضي ساعات طويلة في تصفح تيكتوك وأنستغرام ، تبحث عن الأخبار التافهة ، تهتم بمصير رونالدو ونيمار وميسي وبونو ولا تقلق على مصير طفلك المصاب بسكيزوفرينيا مبكرة ، كما لا تكترث بمصير زوجتك التي صنعت لنفسها عالما ليس هو العالم الذي تعيش فيه أنت أيها الرجل التافه!

ستظل دائمًا تافها ،صغيرا و "مشككًا"، لا زلت تشكك في الحقيقة العلمية بعد اكتشاف دوران الأرض وحركتها في الفضاء ، لا تصدق الحقيقة العلمية بينما تصدق الحقيقة الغيبية ،حذرك تجار الدين من تصديق حقيقة كروية الأرض ودورانها حول الشمس ، هناك من هددك بالكفر إن أنت صدقت العلم ، علمك تجار الدين أن تقول كلاما سخيفا تستهزئ به من العلماء الحقيقيين . كل ما تعرفه عن نيوتن هو أنه رأى تفاحة تسقط

من شجرة، وكل ما تعرفه عن داروين هو ما نقله إليك تجار الدين ، لا تعرف أنه استوعب نظرية "البقاء الأقوى"، ولم يقل أبدا إن "أصلك قرد" ، لا تتعدى معرفتك للفرابي والرازي وابن رشد تخريجات وأحكام شيوخ الدين ، لقد قالوا لك : إنهم زنادقة ! كفروا بالله وحق فيهم القتل ، بينما قال ابن رشد إن الإله الذي خلق العقل في الإنسان لا يمكن أن يطالبه بأن يتبع شرائع تناقضه. تحب أن تظهر بمظهر المثقف المتنور ، تستشهد بـ"فاوست" لجوته، وشعر أدونيس ودرويش وفلسفة حسين مروة وعابد الجابري والعروي وقصص غسان كنفاني وماركس وفرويد لكنك لم تفهم أبدا ما كتبوا أكثر مما يفهمه القط في الرياضيات البسيطة. أنت مجرد غبي ومغرور، جاهل تعود القهقرى لتتناقض حياتك مع مبدأ التطور ، أنت تتحول رويدا رويدا إلى ما دون القرد.

أيها الرجل التافه! حذقت تقنيات الخوض في القضايا والأمور الأساسية التي تهم حياتك ومجتمعك ولازلت ترتكب الأخطاء تلو الأخطاء، لهذا أصبح من المستحيل أن تخرج من الوحل.... آفاقك ضيقة للغاية ، رجل تافه، لا ترى أبعد من وجبة الإفطار ، بمجرد ما تنتهي منها تدخل في حالة انتظار وقت الغداء. عليك أن تتعلم كيف تتطلع إلى الأفق البعيد . عليك أن تتعلم كيف تفكر وفقًا لما تتطلبه الحياة ، وتنظر إلى طبيعة تطورك من مجرد خلية إلى كائن بشري يمشي على قدميه بعد أن حرر يديه، تطلب هذا التطور ملايين السنين ، ومر الإنسان عبر تحولات مهمة رصدها علماء بكل دقة قبل أن يوجد الإنسان

العاقل الأوموسابيان، ولكنه للأسف هذا الكائن الذي هو أنت حرم نفسه من استخدام عقله للتفكير بشكل صحيح.
أنت تكرر نفس السخافات التي كررها سلفك " الصالح" منذ أكثر من 15 قرنا . والأسوأ من كل ما ذكرنا ، أنك نصبت أصناما جديدة : "المقدسات"، "الثوابت"، "الأمة"، "الطقوس الدينية"، "تقديم القرابين للإله" " منع الحب والسعادة "، لا تجرؤ على أن تلقي ولو نظرة خاطفة على بؤسك وفقرك وتفاهتك. بين الحين والحين، تخرج رأسك من الوحل لتصرخ "ارحمونا من غلاء الأسعار، لقد دمرتم الطبقة المتوسطة ! "، نقيق ضفدع في بركة راكدة أقرب إلى الحياة من صراخك التافه ! حتى في احتجاجك تعبر عن خبثك وانتهازيتك ، تطالب بمكتسبات مالية للطبقة الوسطى التي تنتمي إليها ، لا تهتم بالطبقة الكادحة بل تكن لها عداء كبيرا لأنك تراها سبب كل المشاكل التي يتخبط فيها الوطن.
"لماذا لا تخرجني من هذه الوحل؟ أنت خائن! لقد كافحت وعانيت من أجلي، قدمت تضحيات كبيرة. والآن، أنت تهينني وتريد أن تتخلى عني !" هذا أقصى ما تصل إليه بأفقك الضيق ، إما أن تتهم الآخر بالخيانة أو تطلب منه أن يخرج إلى الشارع ليطالب بحقوقك ، أنت لا تحتج على نفسك وإنما تحتج فقط على المناضل والمثقف العضوي .
لا يمكن أن يخرجك أحد من هذه الوضعية . أنت الوحيد القادر على فعل ذلك. لم أشارك أبدًا في اجتماعاتك وندواتك وموائدك المستديرة ، لأنك لا تنظمها من باب إيجاد حلول لمشاكل الوطن ، تنظمها وأنت ترفع شعار "إسقاط الأساسي! من أجل مناقشة

التفاصيل!". انهيارك الرهيب أدى إلى أن يبتعد عنك جميع الذين كانوا على استعداد للتضحية بكل شيء من أجلك. للأسف خلال كل حياتك التافهة لم تقل سوى عبارات تافهة، ولم تنطق بكلمة ذكية واحدة. لا تستطيع التصرف والتفكير بطريقة مختلفة. رأيت خوفك من الحياة ومن ذاتك، أنت لا تدرك أن المعرفة تخلق الأمل.

"نعم، أنا متفائل، أراهن على المستقبل". اعرف أنك ستسألني لماذا؟. سأجيبك، استمع : أيها الرجل التافه! ، أصاب دائمًا بصدمة نتيجة ضيق أفقك وعقلك. نسيت الأذى الذي تلحقه بالحياة ، فتحت أخيرًا عيني ونظرت إليك وجهًا لوجه. كان أول رد فعل تجاهك : ازدراء وكراهية. لكن تدريجيًا، تعلمت أن أفهم مرضك، فتخلصت من ازدرائي وكراهيتي. ثم قررت أن أبتعد عنك. أكرر: ابتعدت عنك ولكن ليس عن مستقبلك. لم أتخل أبدا عن الإنسانية، ولكنني تخلصت من قذارتك. سخرت كل حياتي وعملي من أجلك ومن أجل حياتك لأنني أعتقد أنك الحياة، والتقدم، والمستقبل، والأمل. بعدما أدركت أهمية وجودك في حياتي قررت ألا أسمح لضيق أفقك وقذارتك أن يقتلاني ، فكرت بجدية في أن أتصرف لصالح الحياة لأساهم بفعالية في الحفاظ عليها وعلى مستقبلك. أعرف أن ذلك يتطلب الصبر والشجاعة لنكرانك أيضا . أنا واثق من أنني سأستطيع العمل من أجل المستقبل، لأنني لا أشعر بأي تعاطف معك وهذه هي بداية مستقبلك المشرق ونهاية ضيق أفق جميع الرجال التافهين الصغار. لقد تمكنا أخيرًا من كشف أساليب هذا الطاعون العاطفي.

تم كشفك، أيها الرجل التافه، وتم إلقاء نظرة خلف واجهة حقدك ونفاقك. أنا أعرف هوسك بالثرثرة، وجشعك، ورفضك لأي مسؤولية، إنها مجموعة من سلوكاتك التي تفسد الحياة. أنا أعلم أنك لا تحب سماع هذه الحقائق ولكنني واثق من أنك لن تنجح بنفس الطريقة التي تستخدمها حاليا . لقد اكتشفت مفتاح شخصيتك . أنت عنيف ومستبد، خلف قناعك الاجتماعي اللطيف. لا يمكنك أن تقضي نصف يوم دون أن تمارس عنفك على الآخر ، أنا أعرفك جيدا ، تجلس بجانب شخص لا تعرفه ، فتفصح عن جانب من شخصيتك العنيفة وإن لم يطلب منك ذلك، أنت كثير الثرثرة ألا تتذكر يوم جئت لزيارتي ؟ ربما تتذكر تلك الظهيرة المشرقة عندما أتيت لزيارتي، و اقترب منك كلبي الصغير. قلت لي: " هذا الكلب ودود جدًا! لماذا لا تربطه ليصبح شرسًا؟ أجبتك قائلاً: "لا أحب الكلاب الشرسة ! أفضل أن يكون كلبي ودودًا مع الجميع!" تتذكر أيضا بلا شك ذلك الأحد الممطر، وأنا أنظر إلى اتساع مساحة تفاهتك بأسف كبير، لجأت إلى حانة. اخذت مكانًا على طاولة وطلبت قنينة خمر أحمر، لست مدمنًا على شرب الخمر، أنا أحب أن أشرب أحيانا ، أحب الخمر الأحمر حينما يكون الجو ممطرا ،وأحب القليل من الويسكي حينما يكون الجو معتدلا يميل إلى الحار ، هذا الأمر يدخل في سلة اختياراتي التي أحب أن أمارسها بكل حرية وأنا أشعر بمتعة كبيرة عندما تكون أمامي قنينة خمر من النوع الجيد ، لا تستغرب مما أقول ، كان أسلافنا يستمتعون بالخمر ، تفننوا في صنعه وشربه ، وخصصوا له شكلا أدبيا مستقلا عن كل الأشكال المعروفة في ذلك الزمن ألم تسمع عن

شعر الخمر والمجون عند العرب المسلمين ؟ قد أشرب الخمر أحيانا ولكن لست ماجنا ولا أحب المجون . وأنا في الحانة بمدينتي الفقيرة ، شربت قليلاً من الخمر الأحمر ، كنت أفكر في الكثير من القضايا ، كنت أفكر في هذه الأمية وتساءلت مع نفسي لماذا نعشق ونقدس الأمية ؟ بعد أن ألقيت جرعة من الخمر في جوفي جالت عيناي في فضاء الحانة وكلمت نفسي مرة أخرى وقلت بصوت مهموس وكأنني أصرح بسر خطير لقنينة الخمر :" نحن نقدس الأمية لأننا نقدس الكسل ، الامية والكسل متلازمان " وأنا أتأمل وأقلب هذه الأمية ،استفزتني أمية المتعلمين ، اصطف أمامي جيش من الأميين المتعلمين ، بينهم أطفال وشباب ورجال وشيوخ ، فيهم التلاميذ وطلبة الجامعات والمعاهد العليا ورجال ونساء التعليم وأساتذة جامعيون وأطباء ومهندسون وتقنيون وصحافيون وخبراء استراتيجيون في الثقافة والسياسة ورجال الدين ... كانت صدمتي قوية وأنا أتفحص ملامح وجوه الأميين كلها متشابهة ، كلها فارغة ، تنظر في الفراغ ، لم ألاحظ أي اختلاف بين فراغ وجه الأستاذ الجامعي والمهندس والطبيب والطالب وفراغ وجه بائع السمك والخضر وسائق العربة المجرورة بالدواب ، تأكد لي أن أمية المتعلمين هي التي عبدت الطريق للتفاهة لتحتل كل القلاع .. لقد عشت لحظة صدمة التفاهة!!! لم يغب عن تفكيري مشروع محاربة الأمية الذي يغلف الأمية بالأمية ، ضحكت كثيرا بصمت ، ربما كان مفعول الخمر الأحمر قد بدأ يسري في عروقي ، ولكنني ضحكت على مشروع نشر الأمية من خلال محاربة الأمية ، يا لها من سريالية . ترصد الملايير

لتجميع مجموعة من النساء بمسجد يضعون على رأسهن مرشدة دينية / كونش عملها تأهيلهن للتخلي عن الحياة والاستعداد لاستقبال الموت ليقمن بنفس الدور الذي يقمن به في الحياة ، الانتقال إلى الجنة ليوضعن تحت تصرف الهوس الجنسي الذكوري ، عليك أن تعرف أنني لم أفكر في هذا الأمر بسبب الخمر ، لم أكن مخمورا بتاتا ، أنا دائم التفكير في قضاياك أيها الرجل التافه وأيتها المرأة التافهة التي اقتنعت بالدور الذي منحه لها المجتمع الذكوري ، أن تكون ربة بيت مطيعة صامتة ، أن تكون مجرد ظل للرجل ، أن لا تكون لها شهوات وانتظارات وأحلام . استطاع الذكر أن يقنعها بأن دخولها إلى الجنة رهين بخدمته وطاعته ، لو أمر الله بأن يسجد مخلوق لمخلوق لأمر المرأة بأن تسجد لزوجها ، إذا لم تستجب المرأة في الفراش لغريزة زوجها ستبيت الملائكة تلعنها إلى الصباح ، ما هذا الهراء ! ما هذه التفاهة ! ماهذا الظلم الذي تقره أيها الرجل التافه لتستعبد المرأة ! لن تقبلي أيتها المرأة التافهة هذا الكلام ، إنه يخيفك ، قد يجعل منك متمردة وأنت تخافين التمرد على القيود التي تشل عقلك وتفقدك حق امتلاك جسدك ، ترين أن هذا الكلام لن يحيي روحك، لتعيدي النظر في عجزك عن الحب، أنت منشغلة أكثر بالتهاب ركبتيك الذي يشدك إلى الأرض قبل الأوان ،كما ترين أن هذا الكلام لن يَشْفِيَك من أمراضك النفسية التي جعلتك تبحثين عن إله بمواصفات بودي غارد . لن تخرجي أنت أيضا من الوحل ، أنت تموتين يوميا ألف مرة بسبب الخوف واليأس والبؤس وجفاف الحب ، أنت تعيشين وسط صحراء قاحلة ، لم يصنع

لك الزواج تلك الواحة الغناء التي رسمتها في أحلامك الشقية المبعثرة ، عليك أن تغمسي نظرتك في روحك، أيتها المرأة التافهة . هذا هو أملك الوحيد.
أنتِ تصرين أن تبقي "ضعيفة"، "معزولة"، متشبثة بجهلك وأميتك وخوفك ، لقد جعلوا منك أنسانا ضعيفا ، تشعرين بأنك بدون حماية في هذه الحياة، وهذا ما ولد في نفسك إحساس الكراهية ، أنت تكرهين كراهيتك أيضا لأنها تقلقك وتخيفك ، تعيشين في صراع دائم مع نفسكِ، تشعرين باليأس ولا تستطيعين أن تنشري الحب والسعادة داخل أسرتك . لهذا أنت أيضا تفسدين حياة أسرتك أيتها التافهة! لأنك لا تبحثين عن السبل التي تخرجك من وضعكِ الصعب ، أهملت الإنسان فيك وارتبطت بتافه لا يساعدك على استرجاع الإنسان المهمل فيك لأنه هو الآخر أهمل الإنسان الذي كان موجودا في ذاته ، ارتبطت برجل تافه يستغلك إلى درجة أنه قد يتخلى عن عمله ويدفع بك نحو أعمال وضيعة ومذلة ، لا يهمه سوى أن تأتي بالمال ليشبع كل نزواته ، قد لا يجد أي حرج في أن يبيع جسدك لمن يدفع أكثر ، أو يعرض مؤخرتك على اليوتوب ليجني بعض المال ، لم يعد يهتم بك ولا يستهويه جسدك ، الأهم عنده أن يجد من يتفرج ويستمني على مؤخرتك .
حينما تحاول أن تقوم بعملية جراحية لأميتك ، تقبل على بعض الكتاب ولكن لا تتذكر من سيرهم إلا الرديء ، كل ما تتذكره من قراءتك روسو أنه دعا إلى "العودة إلى الطبيعة" وأهمل أطفاله وألقى بهم في دور رعاية الأيتام ، أنت لا ترى إلا ما هو منخفض ورديء، وتتجاهل ما هو جميل. لا تجد أي حرج

في أن تؤدي دور حارس الثوابت والمقدسات ، قد تكره جارك لأنه لا يلبس كما تلبس و لا يعيش كما تعيش، أو لأنك ترى أن تحيته لك باردة . أنت فضولي للغاية، أيها الرجل التافه ، تحب التجسس على جيرانك وأهلك وأصدقائك ، تريد أن تثبت لنفسك أنك أحسن منهم ، في ماذا أحسن منهم ؟ أنت لا تعرف الجواب . أنت مستعد لتتحول إلى مخبر تافه ، لا تجد أي حرج في الاتصال بالشرطة لتقول لهم : " أريد أن أبلغ بامرأة وابنتها يقطنان بشقة في حينا يسيئان للأخلاق العامة ، لا تلبسان مثل نساء الحي وتضعان العطر حينما تخرجان ، وابنتها تستقبل حبيبها كل مساء. أدعوكم لإلقاء القبض عليهما لحماية المجتمع من الفساد ... حسبنا الله ونعم الوكيل . "

تتحرك شرطة الأخلاق ، تعتقل المرأة وابنتها وأنت توثق على هاتفك النقال مشهد الاعتقال تشعر بالفخر والاعتزاز لأنك تحولت إلى حارس للقيم ، وتسارع إلى قناتك على اليوتوب لتنشر الفيديو تحت عنوان " شاهد قبل الحذف ، الله يمهل ولا يهمل !!! ألا تدرك أنك تحولت إلى مجرد مخبر تافه ؟أصبحت تلعب دور المُبلِّغ ، لا تجد أي حرج في أن تتدخل في الحياة الخاصة للآخرين! تراقب جيرانك وتسجل كل ما تلاحظه لتختلق لهم تهمة ، بسلوكك هذا تذكرني بالشعب الألماني حينما تحول إلى مخبر في عهد النازية ، لقد أسقطت عن وجهك قناعا جديدا ، بعد وطنيتك تنصب نفسك حارسا "للأخلاق والنظام العام" ، أنت مجرد تافه ومنافق .

هل رأيتَ يومًا ما أيها الرجل التافه صرصورًا ، تحت النور ؟ أكيد لا ! هذا بالضبط ما أعرفه. بما أنني متفائل بالمستقبل أترقب أن تخرج إلى الوجود قوانين صارمة ضد الصراصير البشرية، قوانين تحمي حياتنا وحريتنا . كل القوانين ستجبرك على الالتزام بها حتى لو كنت تكرهها ، حتما سيتغير الوضع وتتدحرج التفاهة إلى الحضيض. أعلم أنك ستستمر في نشر وباء التفاهة لسنوات كثيرة مقبلة ،ولكن في يوم من الأيام، ستُهزم من قِبَل ضميرك الشخصي ، الذي تظن أنه مات منذ قرون خلت. ستهزمك مشاعر نظافتك الداخلية وحنينك للحياة. لا أشك في ذلك. بمجرد أن تتخلص من ضيق أفق أفكارك، ستفكر بحرية. ستبدو لك البداية بدون فائدة ، قد تراها تافهة وخاطئة ، بدون هدف؛ ولكن أفكارك ستنضج في النهاية لتصبح نواة لتفكير جدي. ستتعلم كيف تتحمل الألم الذي يصاحب كل فكرة. ستتعلم الفكر بواسطة الألم . بمجرد ما تبدأ في التفكير، ستندم كثيرا على مساهمتك في بناء وتقوية نظام التفاهة . ستخجل من تاريخك، وتخجل أكثر من التاريخ المزيف الذي تعلمته في المدارس، وتعرف كيف أنك كنت غبيا حينما كنت تقدس رجلا جمع آلاف الأحاديث التي لا تعرف لمن هي بالضبط وكيف جمعها ومتى جمعها ، ودون أن تعمل عقلك لترى هل يقبلها المنطق والواقع أم لا ، قبلتها كما وصلتك بعنعنتها المشكوك فيها دون وجود أي دليل مادي على صحتها وهذا هو الضمان الوحيد الجاد بأن أحفادك الصغار لن يضطروا لقراءة تاريخك التافه الفارغ.

ولكن لن تستوعب في الوقت الحالي حجم تفاهتك ستعمل على تكرارها وإعادة إنتاجها في أطفالك . أنا غير قادر على أن أخبرك بما يحبل به المستقبل. لا أعلم إذا كنت ستستطيع الوصول إلى استعادة حريتك ، لا أعلم أيضًا كيف ستستعيد عقلك.، ولكن بالتأكيد يمكنني أن أخبرك بأن تشبثك بتفاهتك وغبائك ستكون له عواقب جد وخيمة على الأجيال اللاحقة ، قد يؤدي ذلك إلى انقراضك من هذا الوجود ، سيكون مصيرك هو نفس مصير الكثير من الحيوانات المنقرضة أو تلك التي هي في طريق الانقراض .

أنا لست متخصصا في علم المستقبليات ، كما لست منجما أيها الرجل التافه ، على الرغم من أن صغر حجمك وتفاهة ثقافتك قد جعل من السهل بالنسبة لي أن أخبرك بمستقبلك، أن أقول لك : كل الذين يستغلون ماضيك وحاضرك ومستقبلك إنما يحققون أهدافهم بسبب غبائك ولن يخبروك بما سيؤول إليه مستقبلك، لأن ذلك لا يهمهم نهائيا ، ألم تلاحظ كيف أنهم اجتثوا الأشجار التي كنت تحتمي تحت ظلها في صيف مدينتك الملتهب ؟

أنا استمد كل ما كتبت في هده الصفحات من عمقك الذي لا تعرفه ، نعم، أيها الرجل التافه، لديك عمق في داخلك، ولكنك لا تدرك ذلك. لديك خوف مميت من عمقك، ولهذا فإنك لا تشعر به ولا تراه. لهذا السبب، تشعر بالدوار وتترنح كمن يقف على حافة الهاوية، عندما تلمح عمقك الخاص، تخاف من السقوط وفقدان "فردانيتك". وعندما تحاول بأفضل إيمان ممكن أن تصل إلى ذاتك، فإنك لا تخرج إلى السطح سوى الرجل التافه

القاسي، الحسود، الطماع، اللص. لهذا أنا قادر على أن أخبرك بما لن تفعله في المستقبل، لأنك لن تستوعب كيف استمررت في محاربة الثقافة والعقل والحرية والفكر طيلة أكثر من 1400 سنة, هل ترغب في الاستماع إليّ مرة أخيرة ؟ ستظل على اقتناع بأنك مجرد رجل صغير تافه ، الرجل البسيط الذي ليس لديه آراء شخصية. ستظل تبحث عن عذر في أسطورة "الرجل التافه"، لأنك تخاف من أن يجرفك تيار الحياة ويجبرك على السباحة، ولو من أجل أبنائك وأحفادك .

أنا أقول لك، أيها الرجل التافه: لقد حفرت قبرك بعيون مفتوحة! أوهموك بأن عصرًا جديدًا قد بزغ، عليك أن تسايره ، عليك أن تستفيد منه فتعريت أنت وزوجتك أماما الكاميرا وأصبحت تنافس مقابلات كرة القدم ، تقدم للمنبوذين فرجة شقية ..

ستظل خائفا من أن تعبر عن رأيك الخاص لآنك تخاف من رد فعل الرأي العام وستقول في نفسك ." من أنا لأعبر عن رأيي ؟ أكيد سيتم سحقي كاليرقة إذا عبّرت عن رأيي."

ما تسميه "الرأي العام" هو مجموع آراء جميع الرجال والنساء الصغار التافهين الذين لا يتمتعون بالحرية. تأثر الرأي العام بنظام التفاهة ،وأصبح يشبه الموجات الموسمية ، وينفلت من أي قراءة علمية أو اجتماعية ، ولكن ماذا يمكنك فعله لإنقاذ نفسك وأطفالك وزوجتك ؟

لو تدرك جيدا هذه الحقيقة ستنتصر على تفاهتك وتستعيد إنسانيتك وعقلك ، عليك أن تدرك أن العمق الموجود في داخلك هو مستقبلك ، حينما تكتشف عمقك عليك فقط أن تستمر في القيام بما ستفعله منذ تلك اللحظة الحاسمة في حياتك ، امنح لأطفالك الحب والسعادة وحرية اكتشاف أعماقهم ، أحب

زوجتك واترك لها فرصة تحقيق ذاتها ، أنزل من على كاهلها قلقها الوجودي وتعلقها بإله بمواصفات البوديغارد. إذا قمت بهذه الأفعال بتصميم وإصرار، ستستعيد حريتك وعقلك وتقضي على نظام تفاهة .

عندما تدرك أيها الرجل التافه ، أنك شخص ذو قيمة، لديك رأي شخصي حكيم، موجود لخدمة الحياة وليس الموت ، ستكون قادرًا على صياغة تساؤلاتك و طرحها أولا على نفسك ، وتواجهها بثقتك بنفسك ووعيك ، وتلمس في داخلك أنك تغيرت وستقوم بعمل مفيد، طبعا لم تتعلم بعد كيف تفكر بشكل صحيح، كل التغيير المنشود متوقف على نضج تفكيرك ،ألا تلاحظ أن كل شيء يعود إليك، إلى طريقة تفكيرك، لو لم تكن رجلاً نافها جدًا وصغيرًا جدًا، لكنت إنسانا آخر يسعى إلى تطوير وعيه . قبل أن تعرف نفسك كنت تدور حول نفسك في المتاهة التي صنعتها بنفسك، ولم تعد تجد مخرجًا، لأنك كنت تنظر وتفكر في الاتجاه الخاطئ.. عليك ألا تجعل من حياتك مادة للفرجة التافهة ،قاوم بالعمل من أجل نفسك وأطفالك وزوجتك، ومجتمعك. كل شيء بين يديك، حياتك، حياة أطفالك، مطرقتك، التي ستهدم بها كل الأصنام والمقدسات التي تشل حريتك.

قد لا يقنعك كلامي ، أو تجده مختلفا مع معتقداتك ، قد تعتبرني واهمًا أو "شيوعيًا" أو طوباويا أو راديكاليا. لكن ستأتي إلي لتسألني:" متى ستصبح حياتي مريحة وآمنة؟":. إليك إجابتي أيها الرجل التافه :

ستكون حياتك مريحة وآمنة عندما يكون لديك اهتمام أكبر بالحياة من الأمان، واهتمام أكبر بالحب من المال، واهتمام أكبر بالحرية من خط الحزب وكلام الوعظ الديني وسلطة الرأي

العام المصنوع في دهاليز النظام ؛ ستنعم بالراحة عندما يصبح جو أعمال بيتهوفن أو باخ أو أم كلثوم أو مارسيل خليفة أو فيروز أو الشيخ إمام أو محمد شكري أو جلال العظم أو نوال السعداوي وفاطمة المرنيسي هو جو حياتك ؛ عندما لا تتعارض أفكارك مع مشاعرك؛ عندما تدرك مواهبك في الوقت المناسب، وتلاحظ التقدم الذي تحققه مع تقدم العمر؛ عندما تعيش أفكار رجالك العظماء وليس آثار قادتك الذين احتلوا صفحات التاريخ المزيف ، عندما لا تعطل عقلك لتقبل تفاهات تجار الدين وروتيني اليومي والمؤثرين التافهين، عندما يكون معلمو أطفالك أكثر وعيا وإدراكا للحياة من السياسيين، عندما تحترم الحب وتعترف بأخطاء أفكارك مبكرًا وليس بعد وقوعها كما يحدث الآن؛ عندما تشعر بالأمان وأنت تبحث عن الحقيقة وتشعر بالاشمئزاز من الطقوس الثقيلة التي تفسد عليك الحياة ؛ عندما يمتلئ قلبك بالسرور ،حينما تقبل عليك ابنتك لتعانقك، عندما تعرف كيف توزع الحب وليس الغضب على أطفالك وزوجتك ؛ عندما يتلون وجهك بألوان الحرية.

أنا أعلم تمامًا أنك كائنٌ شريفٌ، مجتهدٌ، جادٌ، تشبه النحلة أو النملة. لقد كشفتُ فقط جانب "الإنسان التافه الصغير" فيك، الذي دمَّر كل الحياة؛ أنت كبيرٌ، أيها الرجل التافه، عندما لا تكون تافها صغيرًا وعبدا. عظمتك هي الأمل الوحيد الذي نتشبث به. أنت كبيرٌ، أيها الرجلُ التافه، عندما تمارس مهنتك بحب، عندما يفرج الفن عن الفرح المعتقل في ذاتك . أنت كبيرٌ عندما تستمتع بالسماء الزرقاء، والندى، والموسيقى، والرقص، عندما تعجب بنمو أطفالك، وبجمال وحب زوجتك وعقلها وحريتها ؛ وعندما

تقرأ في المكتبة ما كتبه آخرون من رجال ونساء عن الحياة. أنت كبيرٌ عندما تهمس لحفيدك وأنت تحكي له حكايات الحب والصدق وهو على ركبتيك ، عندما تنظر إلى المستقبل بثقة وفضول الطفولة. أنت كبيرةٌ، أيتها المرأةُ التافهة الصغيرة، عندما تغنين تهليلة لطفلك الرضيع كلها حب وحنان، عندما تثقين في نفسك ولا تلغي وجودك وعقلك وترسمين أحلامك وأمانيك بألوان الحب النابعة من أعماق قلبك.

أنت كبيرة عندما تقولين : "أشكر نجمتي الحسنة التي سمحت لي بأن أعيش بدون شوائب ولا طمع، وأن أرى أطفالي يكبرون، وأن أشهد أوائل تلويحاتهم وحركاتهم وجولاتهم وألعابهم وأسئلتهم وضحكاتهم وعشقهم؛ أشكرها على الحفاظ على حساسيتي التي من خلالها لا زلت أستمتع بالربيع والنسيم اللطيف، ونغمة النهر الصغير خلف منزلي، وغناء الطيور في الغابة؛ أشكرها على أنها منحتني القدرة على ألا أشترك في نميمة الجيران الأشرار، وعلى أنها سمحت لي بأن أحضن شريك حياتي وألمس في جسده تدفق الحياة؛ وعلى ألا أفقد في هذه الأوقات العصيبة، التوجيه والمعنى العميق لوجودي".

لقد استمعت دومًا إلى الصوت الذي كان ينطق في أعماقي ويقول لي: "ما يهم هو أن نعيش حياة جيدة وسعيدة". اتبع نداء قلبك، حتى وإن اضطررت أن تبتعد عن الملائكة. اهرب من القسوة والمرارة، حتى وإن جعلتك الحياة تعاني في بعض الأحيان! وعندما أجلس في هدوء المساء بعد يوم عمل أمام منزلي على العشب برفقة زوجتي ، وأشعر بنسمات الطبيعة، أستمع إلى لحن المستقبل: "تعانقوا، تحابوا، اهجروا تفاهتكن!"

وأعبر عن رغبتي الشديدة في أن تستمر هذه الحياة " وأضم بذراعي ابني الذي يسألني: "أبي، الشمس غربت. إلى أين ذهبت؟ هل ستعود قريبًا؟" وأجيبه: "نعم بني، ستشرق مجددًا لترسم على شفاهنا ابتسامة الحياة !"